المقالة عند محمود درويش

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2015/8/4050)

الحمداني، بسام خلف

المقالة عند محمود درويش / بسام خلف الحمداني :-
عمان:- دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٥
( ) ص
ر.إ: (2015/8/4050).
الواصفات:/ المقالة الأدبية//العصر الحديث /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-96-161-9

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله — مجمع المساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ — خلـــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن — E-mail: darghidaa@gmail.com

المقالة عند محمود درويش

د. بسام خلف سليمان الحمداني
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

الطبعة الأولى
2016 م – 1437 هـ

الإهداء

إلى...

روح والدي الذي لم يسعد بنا، تغمده الله برحمته الواسعة وأدخله فسيح جناته

إلى...

التي أوصانا فيها الحبيب المصطفى (ρ) التي تحت قدميها جنتي والتي فيها الدفء والحنان التي ربتناصغاراً، وسهرت الليالي عليَّ ودمعت من أجلي... والدتي الحبيبة

إلى من... أشدد بهم أزري في زمن الضياع...إخوتي وأخواتي

إلى... من صبرت معي على مُرّ الليالي وشاركتني مسيرة بحثي... زوجتيالحبيبة

إلى... النجوم المضيئة في حياتي وفي ضحكتهم أرتاح من تعب الحياة... أولادي الأعزاء

إيناس أوس أنس

أوراسنؤاس نورس

إلى... كل من أحبنا في الله وأحببناه فيه..... أهدي هذا الجهد المتواضع

د. بسام خلف سليمان الحمداني

الفهرس

المقدمة 9
التمهيد 13
1- المقالة: تعريفها وأنواعها 13
2- محمود درويش: موجز حياة 20

الفصل الأول
اتجاهات المقالة

المبحث الأول: المقالة الذاتية 29
مدخل: 29
1- الاتجاه الوجداني 30
أ- الصور والمشاهدات الشخصية 31
ب- الغربة والحنين للوطن 39
ج- الوصف 46
2- الاتجاه الإنساني 52
أ- القيم الإنسانية 53
ب- الرثاء 58
المبحث الثاني: المقالة الموضوعية 63
مدخل: 63
1- المقالة السياسية 63
أ- المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني 64
ب- المقالات الموجهة ضد العدو الأمريكي 72
2- المقالة النقدية 76
أ- نقد الأدب العربي الفلسطيني 76
ب- نقد الأدب الصهيوني 81

الفصل الثاني
السمات والخصائص الفنية للمقالة

مدخل: 89
المبحث الأول: بناء المقالة 90
1- العنوان 90
2- المقدمة (الاستهلال) 100
3- العرض (حسن التخلص) 104
4- الخاتمة 106
المبحث الثاني: أساليب المقالة 112

1- أسلوب الترسل 112
2- الأسلوب القصصي 117
3- أسلوب التفكه والسخرية 127
المبحث الثالث: لغة المقالة 133
1- سمات عامة 133
2- الألفاظ والتعابير 136
3- مصادر اللغة 139
الخاتمة 143
ثبت المصادر والمراجع 149

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعدُ:

فقد عرف محمود درويش شاعراً مجيداً أنتج بميزاته الخاصة مزيجاً ناجحاً من شخصية الفلسطيني المناضل المقاوم، وشخصية الشاعر الذي تتصف قصائده بمستوى فني رفيع، ودرويش الصحفي الناجح والناقد الجيد يؤمن بثراء البنية الإيقاعية العربية وأنها لم تستهلك بعد إلى صفحتها نهائياً فهو يدعو إلى الأشكال الشعرية الجديدة. وبما أنه عمل في الصحافة وأصبح رئيساً للعديد من المجلات السياسية والأدبية فقد كتب مقالاته الذاتية والموضوعية التي تحمل في ثناياها كل ما يتعلق بالوطنِ: حبه وحنيته وعدوه وقضيته وأدبه ونقده.

وبما أن محمود درويش لم يعرف أكاديمياً بأنه مقالي فقد جاءت هذه الرسالة لتدرس المقالة عنده فضلاً عن قلة الدراسات الأكاديمية في هذا الفن النثري فلم تنجز في جامعة الموصل في هذا المضمار سوى أطروحتين للدكتوراه: الأولى بعنوان (فن المقالة الأدبية في العراق: 1968- 1980م) للباحثة وفاء رفعت العزي، والثانية بعنوان: (المقالة الأدبية في أدب أحمد أمين) للباحث محمد صالح رشيد الحافظ. فتأتي هذه الرسالة لتكون الدراسة الثالثة في هذا الفن التي تخص الكاتب الفلسطيني المتميز محمود درويش ولتثبت قدرته المقالية مع نجاحه بقدرته الشعرية العالية المعروفة.

تقوم الرسالة على تمهيد وفصلين وخاتمة، تضمن التمهيدُ محورين: الأول عن المقالة من حين تعريفها وأنواعها. أما الثاني فقدم موجزاً عن حياة محمود درويش. ويأتي الفصل الأول ليدرس(اتجاهات المقالة) بمبحثين. جاء الأول منهما لدراسة (المقالة الذاتية) بمدخل ومحورين، خصص الأول لدراسة (الاتجاه الوجداني) الذي تضمن الصور والمشاهدات الشخصية، والغربة والحنين للوطن، والوصف. في حين يأتي المحور الثاني لدراسة (الاتجاه الإنساني) من حيث القيم الإنسانية والرثاء.

ويأتي المبحث الثاني ليدرس المقالة الموضوعية بمدخل ومحورين، خصص الأول لدراسة (المقالة السياسية) التي تضمنت المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني، ومن ثم ضد العدو الأمريكي، في حين يأتي المحور الثاني لدراسة (المقالة النقدية) من حيث نقد الأدب العربي الفلسطيني، ومن ثم نقد الأدب الصهيوني.

ويأتي الفصل الثاني ليدرس (السمات والخصائص الفنية للمقالة) بمدخل وثلاثة مباحث. جاء الأول لدراسة (بناء المقالة) من حيث العنوان والمقدمة (الاستهلال) والعرض (حسن التخلص) والخاتمة في حين يأتي المبحث الثاني لبيان (أساليب المقالة) من حيث أسلوب الترسل، والأسلوب القصصي، وأسلوب التفكه والسخرية. أما المبحث الثالث فقد خصص لدراسة (لغة المقالة) من حيث سماتها العامة وألفاظها

وتعابيرها ومصادرها. وختمت الدراسة بخاتمة عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها في أثناء المسيرة العلمية للبحث، فضلاً عن ثبت بالمصادر والمراجع التي استعنت بها.

قامت الدراسة على تحليل الظواهر الموضوعية والفنية عند محمود درويش باختيار النماذج المتميزة من مجموعاته المقالية الثلاث: (شيء عن الوطن، يوميات الحزن العادي، وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام) ومن مقالاته المفردة المنشورة في أعداد كثيرة من مجلة شؤون فلسطينية.

واجهه البحث صعوبات عدة تمثلت في قلة المصادر التطبيقية على المقالة بشكل عام وعدم وجود أية دراسة عن فن المقالة عند محمود درويش مما أدى إلى اعتماد الباحث على جهده الشخصي بحيث أصبح في مواجهة النص المقالي لوحده كما أن الباحث لم يحصل على المجموعة الرابعة لدرويش (ذاكرة للنسيان) على الرغم من البحث عنها كثيراً والسؤال عن وجودها في أية مكتبة عامة أو خاصة في الموصل وبغداد، ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل.

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل والدعاء لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور إبراهيم جنداري جمعة الجميلي، الذي وجدت فيه العلم والصبر وحُسن الخُلق مما شكّلَ حافزاً كبيراً لإتمام مسيرة البحث فجزاه الله عني خير الجزاء.

وفي الختام أقول إنني بذلت قصاراي في إعداد هذا البحث ولم ابخل بأي جهد فإن أصبت فمن توفيق الله تعالى وفضله، وان أخطأت فحسبي أني طالب علم يضع خطوته الأولى على طريق البحث الطويل. ومن الله تعالى وحده التوفيق والسداد.

د. بسام خلف سليمان الحمداني
الموصل
1435هـ - 2014م

التمهيد

المقالة: التعريف والأنواع

إن كلمة المقالة في مأخوذ من القول: " قال يقول قولاً وقيلاً وقولة ومقالاً ومقالة [1] "فالقول هو " الكلام أو كل لفظ مدل به اللسان، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل، أو القول في الخير، والقال والقيل في الشر، والقول مصدر، والقول والقال اسمان له"[2].

وجاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: چ**ومن احسن قولا ممن دعا الى الله** چ[3].

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله(ρ): (**نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه ورجل حامل فقه إلى من هو افقه منه**)[4].

فالمقالة في اللغة على وفق النصوص السابقة من اللغة والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تعني المعنى اللفظي من انه شيء (يقال).

وقد أستخدم لفظ (المقالة) بمعنى بحث أو مسألة أو مذهب من المذاهب الدينية أو فصل إذ يقسم الكتاب إلى (مقالات) كل واحدة منها تعالج بحثاً دينياً أو فلسفياً أو علمياً، وقد استخدمها (أبو الحسن الأشعري) في كتابه (مقالات الإسلاميين) بمعنى المذهب، وبهذا المعنى استخدمها (أبو حيان التوحيدي) في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) في وصفه للصاحب بن عباد بأنه (يتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية)[5].

يورد محمد يوسف نجم تعاريف المقالة عند النقاد الغربيين[6] إذ يعرفها جونسون بأنها (نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام. هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها وليس الإنشاء المنغم - في نظره – من المقالة الأدبية في شيء).

أما موري فيعرفها بأنها (قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه) ويعرفها أدموند جويس بأنها " قطعة إنشائية ذات طول

---

(1) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور(ت 711 هـ)، مادة (قول): 14 /210.

(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 2/ 115.

(3) سورة فصلت: من الآية: 33.

(4) حديث صحيح: أخرجه الإمام احمد وابن ماجه والحاكم عن جبير بن مطعم، كما رواه أبو داود وابن ماجه عن زيد بن ثابت. كما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود.

(5) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. ربيعي عبد الخالق: 14. وينظر: المقال الأدبي في النثر التونسي الحديث، عبد الرحمن عبد، مجلة الحياة الثقافية، العدد (22- 23) لسنة 1982: 6.

(6) ينظر: فن المقالة: 93-94. رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث، عبد الجبار داود البصري:
10- 11.

معتدل تكتب نثراً، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة، ولا تعنى إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب).

ويخرج محمد يوسف نجم بتعريف يكاد يشمل التعاريف السابقة: " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"[1].

ويمكن صياغة تعريف المقالة بالاستعانة بعدد كبير من الدراسات والبحوث على وفق الآتي: قطعة نثرية معتدلة الطول[2] تمثل نوعاً من الإبداع الأدبي في موضوع ما، أو موقف ما، يعكس فيه الكاتب تجربته أو رؤيته بأسلوب أدبي مؤثر[3] لما يتوافر فيه من عاطفة أو خيال واستخدام خاص للغة، فيها جماليات مؤثرة وإيقاعات عاطفية في تراكيبها ومفرداتها، تمنح المقالة قوة في التعبير والتأثير والإقناع[4].

تقسم المقالة عند الدارسين إلى نوعين: ذاتية وموضوعية [5] أو أدبية وتعليمية[6] أو فنية وغير فنية[7]. وسنعتمد على النوعين: الذاتية والموضوعية لأنهما يناسبان البحث من حيث المصطلح.

تعرف المقالة الذاتية بأنها التي" تعالج موضوعاً محدداً وتعتمد في أسلوبها

---

(1) فن المقالة: 95.

(2) المصدر نفسه: 95. وينظر: مقدمة في النقد الأدبي، د. علي جواد الطاهر: 294. الرائد في الأدب العربي، إنعام الجندي: في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف: 75. النقد الأدبي، احمد أمين: 1/ 116.

(3) مقدمة في النقد الأدبي: 295. وينظر: النقد الأدبي، احمد أمين: 1/ 116. الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: 238. في الأدب وفنونه، علي بو ملحم: 167. في النقد الأدبي الحديث، د. فائق مصطفى احمد وعبد الرضا علي: 97. المقالة الأدبية في أدب احمد أمين، محمد صالح رشيد الحافظ، أطروحة دكتوراه: 25.

(4) جنة العبيط أو أدب المقالة، د. زكي نجيب محمود: 3-4. وينظر: فن المقالة في الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقد، د. علي مصطفى صبيح: 136. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية، أنيس المقدسي: 230. فن المقالة الأدبية في العراق (1968- 1980م) وفاء رفعت العزي، أطروحة دكتوراه: 7.

(5) ينظر: فن المقالة: 96. في الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 136. المدخل إلى فن
التحرير الصحفي، د. عبد اللطيف حمزة: 225. الأدب العربي المعاصر في فلسطين، د. كامل السوافيري: 272.

(6) ينظر: مقدمة في النقد الأدبي: 293. زكي نجيب محمود مقالياً، سعيد عدنان محمود، مجلة آداب الرافدين، العدد (16) لسنة 1986: 204.

(7) ينظر: رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث: 18.

على الحديث المباشر ليبين الكاتب عن نفسه في إطار عرض أخاذ يؤثر في النفس"[1] فهي النوع الذي احتفظ بالمعنى الأدبي والتاريخي للاصطلاح إذ كانت في أصلها تكتب لتوفر قيماً أدبية خاصة أي أن كاتبها كان يصطنع النثر الفني وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها [2] وهي في هذا تقابل القصيدة الغنائية لأنّ كلتيهما " تغوص بالقارئ إلى عمق أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، وتتغلغل في ثنايا روحه حتى تعثر على ضميره المكنون. فكل الفرق بين المقالة والقصيدة الغنائية هو فرق في درجة الحرارة، تعلو وتتناغم فتكون قصيدة أو تهبط وتتناثر فتكون مقالة"[3]. وللمقالة الذاتية ألوان متعددة هي[4]:

1- الصورة الشخصية: هي التعبير الفني الصادق عن تجارب الكاتب الخاصة والرؤى التي تتركها انعكاسات الحياة في نفسه. وهي في أحسن حالاتها ضرب من الحديث الشخصي الأليف والثرثرة والمسامرة والبوح. وتمتاز المفاجأة وتوقد الذكاء وتآلف الفكاهة ولا تخلو من السخرية الناعمة أو الحادة. وخير من يمثل هذا اللون مونتين.

2- مقالة النقد الاجتماعي: هي نقد العادات الناخرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع على مدى الدهور، والغرض منها هو نقد ما يطرأ على المجتمع من مستحدثات فيحدث صراع بين القديم والحديث، وأول من كتب في هذا اللون أديسون وستيل(الأديب الإنكليزي).

3- المقالة الوصفية: هي المقالة التي تعتمد على الملاحظة والتعاطف العميق مع الطبيعة فلا يجوز أن يكون عاطفة مسرفة، بل وصفاً رشيقاً معبراً الذي ينقل أحاسيس الكاتب وصور الطبيعة كما تنعكس على مرآة نفسه بصدق وإخلاص. والغاية تصوير البيئة المكانية التي يعيش فيها الكاتب. ومن أمثلتها: (وحي البحر، بجوار شجرة ورد، مع الطير) لأحمد

---

(1) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 14. وينظر: جنة العبيط: 9- 10. الأدب القطري الحديث،
محمد عبد الرحيم قافود: 105. مصطلح المقالة الأدبية في النقد العربي الحديث، د. فائق مصطفى احمد، مؤتمر النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، 1994: 3.

(2) ينظر: فن المقالة: 98.

(3) جنة العبيط: 10.

(4) ينظر: فن المقالة: 102، 107، 114، 115، 117، 118. دراسات في أدب البحرين: 187. من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 138. المقالة في الأدب الجزائري الحديث، قدام سعيد، رسالة ماجستير: 18- 19.

أمين، و (الصخور) لميخائيل نعيمة، و(جمال الطبيعة) للعقاد، و(الربيع) للرافعي.

4- وصف الرحلات: هو تصوير تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه والانطباعات التي تركتها في نفسه تلك الرحلات. ويمثلها أحمد أمين في مقالته (رحلة)، و(رغيف وإبريق وماء). و(غداً) لميخائيل نعيمة، و(في الزورق) للعقاد.

5- مقالة السيرة: هي صورة حية لإنسان حيٍّ، تختلف عن الترجمة في النوع والدرجة الفنية فكاتب التراجم يعنى بجمع المعلومات وتنسيقها وعرضها عارضاً علمياً واضحاً ولكنه يتوارى خلف موضوعه ولا يحاول أن يكشف الذات. أما كاتب السيرة المقالية فهو يصور موقفاً إنسانياً خاصاً من شخصيته وتأثره وانطباعاته الخاصة ويحافظ على إظهار الذات. ومن أمثلة ذلك: (شخصية عرفتها)، و(الشيخ مصطفى عبد الرزاق) لأحمد أمين، و(حافظ) لعبد العزيز البشري، و(قاسم أمين الفنان) للعقاد، و(طه حسين)، و(العقاد)، و(المازني) لمحمود تيمور.

6- المقالة التأملية: هي المقالة التي تعرض لمشكلات الحياة والكون والنفس الإنسانية وتحاول أن تدرسها درساً لا يتقيد بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقي الخاص، بل تلتقي بوجهة نظر الكاتب وتفسيره الخاص للمظاهر التي تحيط به. ومن أمثلة ذلك مقالات (البيادر) لميخائيل نعيمة، و(فلسفة المصائب)، و(نظرة في الكون) لأحمد أمين.

وتعرف المقالة الموضوعية بأنها التي تقوم على جمع المادة وترتيبها وتنسيقها بأسلوب واضح جلي. وهذا النمط من المقالة هو الغالب في أدبنا المقالي اليوم[1]. ولكن يمكن أن تكون المقالة الموضوعية نقداً للسياسة أو نقداً للأدب والتاريخ وما إلى ذلك.

وللمقالة الموضوعية ألوان متعددة هي[2]:

1. المقالة النقدية: هي المقالة التي تتناول بعض الموضوعات الأدبية بالنقد والتحليل وهي تعتمد على قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي ثم تعليل الأحكام وتفسيرها وتقويم الأثر بوجه عام كما نجد عند العقاد والمازني واحمد أمين وطه حسين.

---

(1) فن المقالة: 130- 131. وينظر: مدارات نقدية، فاضل ثامر: 90.

(2) فن المقالة: 132- 133. وينظر: في الأدب وفنونه: 170. من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 139. النثر العربي في نماذجه وتطور لعصره النهضة والحديث، د. علي شلق: 320- 321.

2. المقالة الفلسفية: هي المقالة التي تعرض لشؤون الفلسفة بالتحليل والتفسير، ومهمة الكاتب هنا صعبة فلابد من تقديم الموضوع بدقة ووضوح حتى يصل إلى القارئ كما نجد عند احمد لطفي السيد والدكتور زكي نجيب محمود.
3. المقالة التاريخية: هي المقالة التي تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها، وربط حلقات الواقع بخيال الكاتب حتى تخرج سلسلة متصلة مستمرة.
4. المقالة العلمية: هي المقالة التي يعرض فيها الكاتب نظرية من نظريات العلم أو مشكلة من مشكلاته عرضاً علمياً بحتاً.
5. مقالة العلوم الاجتماعية: هي المقالة التي تعرض لشؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع عرضاً موضوعياً يعتمد على الإحصاء والمقارنات والبيانات.

يتفق النوعان من المقالة: الذاتية الموضوعية من حيث أنهما ينبعان من منبع واحد هو رغبة الكاتب الملحة في التعبير عن شيء ما وقد يكون هذا الشيء تأملاته الشخصية في الحياة والناس فيكتب مقالة ذاتية، وقد يكون موضوعاً من الموضوعات فيعمد إلى المقالة الموضوعية وفي الحالتين كلتيهما يهتدي الكاتب إلى الأسلوب المعين[1].

فالمقالة الذاتية يهتم فيها الكاتب بنفسه فيعبر عنها من حيث العاطفة والانفعال والإحساس، أما المقالة الموضوعية فيعرض فيها موضوعاً نقدياً لظاهرة أدبية أو ظاهرة سياسية أو اجتماعية. وعلى الرغم من أن النوعين يتفقان في العديد من المسائل إلا أنهما يختلفان على الشكل الأتي:

1. تبدو شخصية الكاتب في المقالة الذاتية جلية جذابة تستهوي القارئ وتثار بلبه وعدته في ذلك الأسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال ويستند على ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ القوية الجزلة. أما المقالة الموضوعية فتسعى إلى تقديم موضوع معين بالأسلوب العلمي الذي ييسر له ذلك. ومن خصائص هذا الأسلوب الوضوح والدقة والقصد. ولا تطغى على الموضوع عواطف الكاتب وأحاسيسه بل الروح العلمية في عرض الموضوع.
2. تعنى المقالة الذاتية بإبراز شخصية الكاتب في حين تعنى المقالة الموضوعية بتجلية موضوعها، فالمقالة الذاتية حرة في أسلوبها وطريقة

(1) فن المقالة: 97. وينظر: المقالة في الأدب الجزائري الحديث:16.

عرضها لا يضبطها ضابط، في حين أن أسلوب المقالة الموضوعية يعتمد على المنطق العلمي في العرض والجدل[1].

(1)فن المقالة: 96- 97. وينظر: الفرق بين أسلوب الأديب وأسلوب الصحفي، شفيق صبري، مجلة اللغات الحية، المجلد (1)، العدد(1) لسنة 1961: 4- 5.

محمود درويش: موجز حياة

ولد محمود درويش عام (1941) في قرية البروة على بعد(15) كم من عكا[1]. هدم الإسرائيليون قريته عام (1949) ثم نزح مع أسرته إلى لبنان عندما طرد الفلسطينيون من قراهم في أثناء الاحتلال الصهيوني ثم عاد بعد سنة إلى غير قريته التي محيت عن الأرض وحلت محلها مستوطنة إسرائيلية[2].

عانى درويش من النفي داخل الوطن فكانت التجربة المريرة التالية لتجربة التشرد. وفي مدينة حيفا عرف السجن وهو في عمر أربع عشرة سنة[3]. كما عرف باتجاهه اليساري فاشترك في جماعة (الأرض) وسجن ثلاث مرات(1961، 1965، 1967)[4] وانتسب للحزب الشيوعي وعمل في صحيفتي (الاتحاد) و(الجديد) اللتين كانتا المنفذ الإعلامي الشرعي الوحيد للعرب والفلسطينيين، وفي عام (1971) قطع درويش دورة دراسية في موسكو وظهر فجأة في القاهرة فأثار خروجه ضجة كبرى وأستقبل في العالم العربي بترحاب كبير[5].

احتل محمود درويش موقعاً فريداً قلما حظي به شاعر في الثقافة العربية الحديثة ولا يقارن نفوذه الأدبي إلا بالنفوذ الخاص الذي تمتع به كبار الشعراء في أطوار ازدهار الشعر، وحين كان الشاعر أشبه بنبي الأمة والناطق المعبر عن كيانها وأعرافها الذي يستبصر أقدارها الماضية والحاضرة. وتلك الكامنة في مجهول لا يرى معلومه سوى في السمو والانتصار كما في الانكسار والهزيمة وفي ثقافات الأمم تكررت على الدوام تلك البرهة الاستثنائية التي تلقى فيها على عاتق شاعر مهمة كبرى مثل التقاط الوجدان الجمعي للأمة وتحويل الشعر إلى قوة وطنية وثقافية، روحية ومادية، جمالية ومعرفية[6].

لقد توفرت لمحمود درويش أسباب موضوعية وأخرى ذاتية لبلوغ هذا الموقع، وحدث أحياناً أن تفاعل بين هذين النوعين من الأسباب كان في صالح مشروع درويش

---

(1) الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، غسان كنفاني: 97.
(2) رموز فلسطينية ليست بحاجة للبحث عن هوية، صبحي حديدي، مجلة الكرمل، العددان (55-56) لسنة 1998: 388. وينظر: محمود درويش وجائزة اللوتس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (1) لسنة 1971: 205.
(3)ينظر: رموز فلسطينية: 389.
(4)ينظر: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال: 97.
(5)ينظر: رموز فلسطينية: 389.
(6) ينظر: رموز فلسطينية: 388. وينظر: محمود درويش وجائزة اللوتس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (1) لسنة 1971: 205.

الشعري ككل متكامل. وحدث أحياناً أخرى أن ضغط الشروط الموضوعية ألزم الشاعر بدفع برنامجه الجمالي إلى الصف الثاني والسماح بالمهمة الوطنية احتلال الصف الأول. ولكنه في الحالتين اثبت حساسية فائقة تجاه تطور لغته وأدواته وموضوعاته لاسيما في العقدين الأخيرين من مسيرته الشعرية حين استقرت كثيراً معادلة العلاقة التبادلية الوثيقة بين تطوير جمالياته الشعرية وتطور نفوذه الأخلاقي والثقافي في الوجدان العربي[1]. ويعود ذلك لروافد عدة هي:

1. **الرافد التأملي:**

إن للظروف والملابسات التي عاش فيها محمود درويش جعلته شاعراً مجيداً فقد حفرت شخصيات عديدة في أسرته ملامح عميقة وحادة في ذاكرته يمثل التناقض سمة بارزة في ملامحها وأفعالها، فالجد والأب والعم من خلال ما عاشوه من علاقة مع الأرض التي تمكن اليهود من سلبها منهم واقعاً لا حلماً حفروا في وعي الشاعر وفي لا وعيه صوراً جمعت الكثير من التناقضات والمتضادات، فقد كان عمه مثلاً ينفذ وعد (هرتزل) فيعمل أجيراً عند سكان المستوطنة التي على أرضه وأرض أبيه في أعمال البناء والترميم والفلاحة، وتبرز صور الجد وهو يرى الأرض تنتزع منه ولا يجد وسيلة رؤيتها ثانية ألا من خلال نافذة الباص وتكثر رحلاته من القرية إلى عكا. وعندما تسنح للجد فرصة لقاء الأرض من خلال عقد استئجار لموسم قصير فقط لا يضيع الفرصة لكنه يضيع المال القليل الذي يملكه[2].

2. **الرافد الفلسطيني/ الصهيوني:**

إن الظروف والملابسات التي خلقتها الأحداث التاريخية في فلسطين في هذا القرن فرضت على الفلسطيني واقعاً رآه يجمع بين عناصر المأساة والملهاة، وظل وجود محمود درويش في فلسطين قبل أن يختار لنفسه الرحيل عام (1971) يغذي إحساس الشاعر كل يوم بهذا الواقع القائم فابن غير شرعي يأخذ مكان ابن الأرض الشرعي ويصبح الشرعي مرتحلاً مطارداً من مكان لآخر، فالسياسة الإسرائيلية تجاه السكان العرب واضحة منذ الاحتلال الصهيوني وهي اقتلاعهم من أراضيهم وإلحاق الاضطهاد القومي والطبقي بهم وعزلهم عن انتمائهم القومي وخلق حالة اقتراب خانقة

---

(1) ينظر: رموز فلسطينية: 389.

(2) المفارقة في شعر محمود درويش، خالد سليمان، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (13)، العدد(2) لسنة 1995: 218- 219. وينظر: مفهوم الرمز الدينامكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث: محمود درويش نموذجاً، محمد جمال بارود، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش: 36.

في وطنهم من دون أن تغريهم بتقديم بديل أو تعويض[1].

3. **الرافد الفلسطيني العربي:**

برحيل الشاعر عن فلسطين وتنقله بين عواصم العالم العربي والغربي زائراً أحياناً ومقيماً أحياناً أخرى برز له وجه من أوجه التناقض وبشكل خاص في الصراع مع اليهود[2].انتمى محمود درويش إلى تلك الحركة الشعرية الفنية التي كانت تتطور في فلسطين منذ مطلع الستينيات على يد شعراء مثل توفيق زياد وسميح القاسم وسالم جبران. ثم اكتشفها العالم العربي أوج هزيمة (1967) فأطلق عليها اسم (شعراء المقاومة) فجاء شعرها بموضوعات ذات حساسية وجدانية مثل: (الأمل، المقاومة، الأرض، الهوية الوطنية)[3].

امتاز محمود درويش في شعر المقاومة عن أقرانه في خصائص عديدة هي[4]:

1. غزارة إنتاجه إذ إنه أصدر خمس مجموعات شعرية بين(1960- 1971).
2. الأفق الإنساني لموضوعات قصائده.
3. حسن توظيفه للأسطورة والرموز الحضارية.
4. براعته في أسطرة الحدث اليومي والارتقاء به إلى مستوى ملحمي في الآن ذاته.
5. رهافة ترميز للمرأة بالأرض.
6. مزجه بين الرومانسية الغنائية والتبشير الثوري.
7. سلاسة خياراته الموسيقية.
8. حرارة قاموسه اللغوي.
9. ميله إلى الصورة الحسبة بدل الذهنية.

فأسفر عن كل تلك الخصائص مزيجاً ناجحاً لشخصية الفلسطيني المناضل المقاوم وشخصية الشاعر الذي تتصف قصائده بمستوى فني رفيع.

اكتسبت قصيدة (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا 1972) وظيفتها حين

---

(1) المفارقة في شعر محمود درويش: 220- 221.

(2) المصدر نفسه: 222- 223. وينظر: الزمان والمكان في ديوان محمود درويش احد عشر كوكباً دراسة
نقدية، بسام قطوس، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (14)، العدد(1) لسنة 1996: 47.

(3) رموز فلسطينية: 389.

(4) المصدر نفسه: 289. وينظر: السيرة في أطار الشعر قراءة في ديوان محمود درويش لماذا تركت الحصان
وحيداً، خليل الشيخ، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (16)، العدد(2) لسنة 1998: 142.

استجمعت دلالات التراجيديا الفلسطينية في شخص سرحان بشارة سرحان قاتل روبرت كنيدي, واستقرت في الذائقة. وحين كتب درويش قصيدة (احمد الزعتر 1977) التي تصف حصار الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر قرب بيروت، وظلت هذه القصيدة تتماهى في وعي القارئ مع سرحان قبل أن تكتسب وظيفتها وتتحول إلى قصيدة (مديح الظل العالي/ 1983) التي تتحدث عن خروج الفلسطينيين من بيروت أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام (1982)، وهذه القصيدة بالنسبة إلى قصيدة (بيروت/ 1980) وهكذا وصولاً إلى قصيدة (أحد عشر كوكباً على آخر المشهد الأندلسي/ 1992) التي استكملت فصلاً جديداً في مسار الشاعر[1].

وتواصل الإبداع الشعري عند محمود درويش على امتداد (12) مجموعة شعرية كتبها خارج الأرض المحتلة وبدأت من (أحبك أو لا أحبك/ 1972) التي شكلت اختباره الأول بعد مراحله الشعرية السابقة في إطار حركة (شعر المقاومة) وحتى مجموعته الأحدث (لماذا تركت الحصان وحيداً) التي اختار فيها درويش تسجيل سيرة المكان الفلسطيني من خلال محطات منتقاة من سيرته، ومن جانب آخر هي سيرورة خرجت من أكثر من معطف عربي واحد:

1. كلاسيكي تراثي (أمرؤ القيس/ المتنبي).
2. رومانتيكي (علي محمود طه/ إبراهيم ناجي).
3. حداثي (السياب/ البياتي/ نزار قباني).

(1) رموز فلسطينية: 390. وينظر: تطور تجربة محمود درويش الشعرية، د. محمد عبد المطلب، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش: 77.

كما تبلورت تجربة محمود درويش في إطار إطلاعه العميق على الشعر:

1. الآسيوي (طاغور/ ناظم حكمت).
2. الاسباني (لوركا ونيروا).
3. الروسي (مايكل يسينين).
4. اليوناني (كفافيس / سيفيريس / ريتسوس).
5. الفرنسي (أراغوان / آيلوار / سان رينيه شار).
6. الانغلو - ساكسوني.

والأسماء كثيرة أبرزها: ويتمان، ييتس، اليوت، وتجارب الشعر في أوربا الشرقية فضلاً عن النتاج الواسع لآداب كلاسيكية بأسرها، والمسرحيات الإغريقية بصورة خاصة[1].

يؤمن محمود درويش بثراء البنية الإيقاعية العربية وأنها لم تستهلك بعد إلى صفحتها نهائياً والاقتصار على كتابة الشعر في شكل قصيدة النثر فقط. شعره يشتغل من ثم على التطوير المرن والمعمق للطاقات الموسيقية الكامنة في التفعيلة، والتغلب على ما تفرضه من (نظام) معين عبر تطويع أشكال الاشتغال على ذلك النظام وليس عبر الالتزام الحرفي بقواعده يلح على ضرورة التمييز بين الشاعرية والقصيدة؛ لأن الشاعرية يمكن أن تتوافر في الأشياء واللوحة والموسيقى والطبيعة والسلوك الإنساني، ولكن تحويل هذه الشاعرية إلى قصيدة أمر مختلف وهو تحديداً ما يمنح أي إبداع نظامه الخاص[2].

يبدي محمود درويش الكثير من الترحيب بالتجارب الشابة ويراقب تطور شكل قصيدة النثر عن كثب لاسيما وهو الناثر الممتاز الذي اتصفت مقالاته السياسية والوجدانية بسمو خاص على الدوام. وترك نصه النثري السردي الفاتن (ذاكرة للنسيان) صدىً لم يكن أقل مما تركته قصيدتاه (مديح الظل العالي) و(بيروت)[3].

عرف محمود درويش بمقالاته الذاتية والموضوعية. الذاتية التي يتحدث فيها عن الوطن المفقود، والموضوعية التي يتناول فيها القضايا السياسية والنقدية، وقد نشرها في الصحف والمجلات، فهو كاتب صحفي معروف ترأس في حياته أكثر من مجلة سياسية ابتداءً بمجلة الجديد مروراً بشؤون فلسطينية وانتهاءً بمجلة الكرمل.

أصدر محمود درويش أربع مجموعات مقالية هي:

1. شيء عن الوطن.

---

(1) رموز فلسطينية: 390.
(2) رموز فلسطينية: 390.
(3)المصدر نفسه: 391.

2. يوميات الحزن العادي.
3. وداعاً أيتها الحرب وداعاً أيها السلام.
4. ذاكرة للنسيان.

كما نشر المقالات المتفرقة في أعداد كثيرة من مجلتي شؤون فلسطينية والكرمل.

الفصل الأول
اتجاهات المقالة

- المبحث الأول: المقالة الذاتية
- المبحث الثاني:المقالة الموضوعية

المبحث الأول
المقالة الذاتية

مدخل:

تعد المقالة الذاتية لدى محمود درويش المجال الخصب الذي من خلاله يستطيع أن يبوح بكل ما يريد أن يقوله.. من تراكمات وتجارب إنسانية وحياتية مرت به بالغة في تأثيرها وأهميتها في نفسيته التي تفجرت إزاءها انفعالاته الصادقة عبر امتداد أحاسيسه ومشاعره الذاتية؛ لأنه يحمل قلب فنان.. تضطرم وتفور في قلبه تلك الأحاسيس والمشاعر وانفعالاتها.. وأصبحت بحق " العصارة الحية التي يثمرها التجاوب الذاتي للأديب والكاتب تجاه تجربة يعانيها ويعيشها نبضاً وفكراً، ثم يفرزها في تدفق وعفوية، نسيجاً حياً يميز أسلوب شخصه ويشف عن نفسه وينطق بلسان حاله ويجسد كيان ذاته"[1]. والمقالة الذاتية لدى درويش متنوعة التجارب ذات صور متميزة بألوانها وخطوطها وتحتفظ بطابعها الخاص وقسماتها الفارقة[2].

وذاتية المقالة بصورة عامة " تنبع من رغبة الكاتب في التعبير عن تجاربه الشخصية وتأملاته في الكون والحياة والناس من خلال عمل إبداعي يستمد عناصره من مشاعره ومن وجهة نظره الخاصة؛ ولذا يأتي نتاجه نسيجاً ذاتياً يبرز الملامح الشخصية لكاتبه واضحة جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه من خلال أسلوب أدبي يثري العاطفة ويثير الاهتمام بما يستند إليه من صياغة فنية قوامها الحس اللغوي والمهارات البيانية التي تسهم في بلورة انطباعات الكاتب وتوضيح رؤيته الذاتية والوجدانية أو الذهنية بلورة أدبية تحمل سمات الإبداع الفني الأخاذ الذي يمتع ويقنع"[3] وهذا ما فعله محمود درويش وهو يبث في مقالاته الذاتية أحاسيس ومشاعر صادقة نابعة من وجدانه المتوهج وانفعالاته إزاء ما يواجه في حياته الذاتية.. فبرز في مقالاته الاتجاه الوجداني بما فيه من صور ومشاهدات شخصية، فضلاً عن الوصف، والحب والحنين إلى الوطن، والاتجاه الإنساني من خلال القيم الإنسانية والرثاء.

1- الاتجاه الوجداني:

يتجه محمود درويش في الاتجاه الوجداني إلى ذاكرته وحياته المعاشة المليئة بالعواطف المتأججة والحنين والشوق، وهي عواطف خصبة دائمة التوهج، نلمح في اتجاهه هذا الحب الخالص والاشتياق للعالم.. للوطن، للحبيبة، للطفولة فاخرج من

---

(1) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 7.
(2) فن المقالة: 102.
(3)فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 69.

دواخله وذاته الصادقة كل الصور الحياتية ومشاهداته وتجاربه الشخصية وأباح عن كل معاناته لاسيما في غربته عن الوطن الذي يحبه كثيراً.. الوطن الحبيس المسور بالأعداء.. وبذلك يكون هذا الاتجاه قد اتخذ " الوجدان لحمته وسداه فتأتي العاطفة أهم ما عند الكاتب وابرز ما يعبر عنه محاولاً نقله إلى قرائه.. يأتي هذا الاتجاه بمضمونه الوجداني نسيجاً حياً تغزل العاطفة خيوطه وتصطبغ بها ألوانه"[1].

واهم الدوافع التي حدث بدرويش في مقالاته الذاتية الوجدانية تعود إلى طفولته المليئة بالفرح والانكسار تارةً ولحظات الحزن والأمل تارةً أخرى[2]، وما عاناه الأديب من لحظات المرارة في أثناء خروجه من وطنه وعودته، ومن ثم الغربة وكل أجواء الحرب والكارثة المتمثلة بضياع الوطن واحتلاله؛ لذلك يقول في ذكرياته عن الطفولة في مقالته (ما زلت طفلاً):

((**يغادر أصدقاؤك المدينة، وتبقى وحدك. تشرب القهوة وحدك وتحزن وحدك. كل العائلات يلتئم شملها غداً، وليس من حقك أن تقتحم بيت أحد؛ وتبقى وحدك.. الحل في البحر، في الصباح الباكر تذهب إلى الشاطئ وحدك وتطفئ نارك في الماء الأزرق، تأخذك الموجه ولا تعيدك عليك أن تعود وحدك. تتمدد على الرمل الساخن في الشمس والهواء والوحدة... لماذا تبذر الشمس نفسها إلى هذا الحد. ولماذا ينكسر الموج؟. الشمس كثيرة والرمال كثيرة والماء كثير. ويتكلمون حولك بلغة تفهمها فتشتد حزناً ووحدة واغتراباً**))[3].

وعلى ذلك فإن محمود درويش في كل ما يكتبه " يحس إحساساً قوياً بموضوعه ويعبر عنه بعبارة قوية رائعة"[4] كما هي واضحة في النص السابق من يوميات حزنه..

أ- الصور والمشاهدات الشخصية:

تمتاز حياة محمود درويش بأنها تبحث عن مستقر ـــــ مكان زماني ـــــ يوحد بين شتات الغربة والعودة، بين الحنين واحتضان الوطن الجريح.. بين الماضي ـــــ الطفولة الجميلة ـــــ والحاضر والمستقبل المتألمين.. بين الحلم الجميل الغافي على الآمال الجميلة وبين الواقع المرير المنكسر (الكابوس) إنه خيط رفيع يجمع بين هذه الأشتات المتباينة.. وخلال هذا الخيط تتولد صور الحياة والمشاهدات اليومية لدى محمود درويش " والنفس تتعلق بهذه الصور تعلقاً قوياً، ترد إليها حيويتها التي كانت

---

(1)فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 89.
(2)السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان محمود درويش لماذا تركت الحصان وحيداً: 139.
(3)يوميات الحزن العادي: 98.
(4) محاضرات عن فن المقالة الأدبية، د. محمد عوض محمد: 63.

بالذات حينما كانت إحساسات فعلية وبذلك يصبح بإمكانها أن تتغلب على الألم الذي يعانيه الجسم في الوقت الحاضر"[1].

إن لحظة الخروج من الوطن تهيمن على ذاكرة الكاتب، فيصور من خلال انفعالاته اتجاهها صور عديدة تجسد العواطف المتكسرة على أجنحة الألم والدروب وأشجار الزيتون والقمر وتداعيات الطفولة الباكية كما في مقالة (القمر لم يسقط في البئر)[2] التي صور فيها الكاتب لحظة الخروج من الوطن، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين أبيه:

((حين كنت صغيراً... كنت تخاف من القمر؟.

يقولون ذلك. ولكن ليس صحيحاً أن الأطفال يخافون القمر دائماً..

ـــ لولاه لكنت يتيماً قبل أواني، لم يكن قد سقط في البئر، كان أعلى من جبيني وأقرب من شجرة التوت، التي توسطت دار جدي. وكان الكلب ينبح عندما يقترب. وحين دوت أول رصاصة دهشت لحفلة زفاف تحدث في المساء. وحين ساقوني إلى القافلة الطويلة رافقنا القمر إلى طريق عرفت فيما بعد أنها طريق المنفى))[3].

وحينما نقرأ مثل هذه الصورة: (اليتم، شجرة التوت، دار جدي، الكلب ينبح، حفلة زفاف، ومن ثم القافلة الطويلة) تنتقل بنا حرارة تلك الصور حيث (طريق المنفى). تذكرنا بالصور المتنوعة التي تعبر عن فهم طبيعة الحياة التي عاشها محمود درويش في (يوميات الحزن العادي).

ومقالة (شارع المتنبي) هي بحث عن صور مهيمنة ومتحركة في مواطن الألم من نفس الأديب.. يبحث فيها عن غياب الأسماء العربية لماذا محاها الأعداء.. وهو في ذلك يريد أن يذكر العرب بمجدهم بدلالات المعاني التي تحملها تلك الأسماء فيقول:

((تعود إلى البيت بسيارة أجرة؟. تتكلم مع السائق بلغة عبرية سليمة، وشكلك لا يعلن هويتك. يسألك السائق: إلى أين يا سيدي؟. تقول: إلى شارع المتنبي. تشعل سيجارة لك وسيجارة للسائق لأنه مهذب... تنزل من السيارة، وتقرر العودة إلى البيت مشياً، تصيبك نوبة قراءة أسماء الشوارع، فعلاً، محو أسماءها. صار صلاح الدين شلومو، وتتساءل: لماذا حافظوا على اسم المتنبي!. وعندما تصل إلى شارع

---

(1) النفس الإنسانية، محمد جلوب فرحان: 130.

(2) يوميات الحزن العادي: 30. وينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (30) لسنة 1973: 30- 32.

(3) المصدر نفسه: 32.

المتنبي تقرأ الاسم، لأول مرة، باللغة العبرية، فتجد أنه (المونت نفي) وليس المتنبي كما كنت تتصور!))[1].

إذن هذه الذكريات وتكرارها الكثير يدل على تجذرها العميق في ذاته، لأنها لحظات نفي الطفولة، وتدمير مكانها الأول، ثم الانتقال إلى مكان آخر يشكل انقلاباً في حياة درويش، المليئة بالبراءة[2].

وحياة درويش مليئة بالأحداث والتطورات والمشاهدات وصور الحياة التي تقلبت رؤى وأحلام وآمال درويش الأديب والفنان فكان بحق " الفنان المبدع ـــ الذي هو ـــ مزيج تكامل متناسق بين اتجاهين, متنافرين، أولهما: حياة الفنان الخاصة, وثانيهما عملية الإبداع الفني اللا شخصية "[3]. ولعل خروج الفلسطينيين من ديارهم خارج الوطن, كان له الأثر الكبير الذي سحبت ذات الأديب المتأثرة بذلك الخروج, مما أدى إلى ميل لا شعوري لتتشكل هذه الذاتية إلى إحساس الغربة التي هي أساساً " حالة اجتماعية نفسية فيها يشعر الفرد بالإحساس بالمسافة أو الانفصال عن مجتمعة أو جماعته "[4] ويتوضح هذا الإحساس في مقالته: (هكذا أعيش وأناضل في إسرائيل) إذ يقول:

((أذكر نفسي عندما كان عمري ست سنواتـ كنت أقيم في قرية جميلة وهادئة، هي قرية البروة الواقعة على هضبة خضراء، ينبسط أمامها سهل عكا، وكنت ابناً لأسرة متوسطة الحال عاشت من الزراعة. وعندما بلغت السابعة، توقفت ألعاب الطفولة، وأني أذكر كيف حدث ذلك.. أذكر تماماً: في إحدى ليالي الصيف، التي اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل، أيقظتني أمي من نومي فجأة، فوجدت نفسي مع مئات من سكان القرية في أعدو في الغابة، كان الرصاص يتطاير من على رؤوسنا، ولم أفهم شيئاً مما يجري. بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربي الضائعين في كل الجهات، إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين. تساءلت بسذاجة: أين أنا؟ وسمعت للمرة الأولى كلمة (لبنان)))[5].

في هذه المقالة نجد محمود درويش يسترجع طفولته، ومن ثم تشرده وتغربه،

---

(1) يوميات الحزن العادي: 90-91.

(2) عن الشعر ومكائد الطفل، د. محمد لطفي اليوسفي، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش: 32.

(3) الفكر: طبيعته وتطوره، د. نوري جعفر: 71.

(4) بين الاغتراب والأصالة، د. أمير اسكندر، الملحق (51) لجريدة الثورة، العدد (3403) في 1979/8/16: 21.

(5) شيء عن الوطن: 212- 213.

وانتهاء بطفولته, لتبدأ حياة مليئة بالمتاعب:((**يخيل لي أن تلك الليلة وضعت حداً لطفولتي بمنتهى العنف. فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت.. وأحسست فجأة أني أنتمي إلى الكبار.. توقفت مطالبي وفُرضت عليَّ المتاعب**))[1].

لقد قدم محمود درويش لوحات عديدة في مقالاته تشتمل على صور ومشاهدات للخروج من أرض الوطن.. ليتذكر خلالها صور الطفولة, والحب, والحياة الهانئة.. لكن ذلك لم يمنعه من أن يحلم بالعودة ليرسم لها لوحات من الصور الصادقة التي تسللت إلى نفسه, كلما يحلم بالتسلسل والعودة إلى الوطن.. فيقول:

((**وبعد أكثر من سنة، عشت خلالها حياة لاجئ, أبلغوني ذات ليلة أننا سنعود غداً إلى البيت.. أذكر جيداً أني لم أنم في تلك الليلة.. لم أنم من شدة الفرح. فالعودة إلى البيت تعني - بالنسبة لي - نهاية الجبنة الصفراء, نهاية تحرشات الأولاد اللبنانيين الذين كانوا يشتمونني بكلمة (لاجئ) المهينة.. وخرجت إلى رحلة العودة, كان الظلام مخيماً على كل شيء وكنا ثلاثة: أنا، وعمي, والدليل الذي كان يعرف مجاهل الدروب في الجبال وفي الوديان, إني أذكر الزحف, على البطون لكي لا يرانا أحد. وبعد رحلة مضنية, وجدت نفسي في إحدى القرى. ولكن ما أشد خيبة أملي: لقد وصلنا إلى قرية دير الأسد, وهي ليست قريتي, لا بيتي هناك ولا زقاقي. سألت: متى نعود إلى قريتنا.. إلى منزلنا, ولم تكن الأجوبة مقنعة.. ولم أفهم شيئاً. لم أفهم معنى أن تكون القرية مهدمة.. لم افهم معنى أن يكون عالمي الخاص قد انتهى إلى غير رجعة**))[2].

وهكذا نرى إحساس محمود درويش بضياع الوطن بلا رجعة، والذي يقوي هذا الإحساس لديه محاولاته العديدة بالعودة إلى الوطن خلسة، التي باءت بالفشل وانتهت بإصدار قرار بعدم دخوله إلى ارض فلسطين البتة.

إن الصور والمشاهدات التي ارتسمت في مقالات درويش بكل ما تعكس من مناخات وتعقيدات كثيرة التي فرضتها المرحلة التي عاشها وقضية وطنه الحبيب. ترسو تجاربه وأفكاره على عمق تاريخي مجرب ومعاش وما تمتلكه بنيته الذهنية من تطور ووعي بما يجعله قادراً على مواجهة الإحباط والصعوبات التي واجهته والدافع الأكيد في قوة المقاومة لديه هو حبه العميق للوطن الذي كان بمثابة النعمة والجنة، وهو وصف يضفيه عليه في مقالة (شكوى الشهيد الفصيح):

((**وضعونا في خندق انتظار الموت سنين طويلة، وقالوا: هذا هو أمر الوطن، كنا قادمين من البيوت الطينية والأكواخ الخشبية، جياعاً وشبه عراة، ومرضى،**

---

(1) المصدر نفسه: 213.

(2)المصدر نفسه: 214- 215.

ومعافين بك، كان رفرفة العلم تغطينا... وتحولت إلى هاجس، تغلغلت فينا، يوماً يوماً، وتجنحت من شيء إلى حلم، ليست لنا مطالب فأنت النعمة، وصرنا نقارنك بالجنة، وكنت المتفوق أبداً كلما ازددنا شوقاً إلى تفجير المعجزة. ما هي المعجزة؟ ما هي المعجزة؟ جاهزون للضغط على اللغم المربوط بالشريان.. جاهزون، ولكن الأمر لم يصدر، ولم تأمرنا يا سيدي، صارت القنبلة أثمن من القلب، وكنا ننتظر الأمر بالحرية! في انتظار هذا الأمر تحولت، أيها الوطن إلى وعد. متى يصدر الأمر فنلتقي بالوطن السحري. تساءلنا وتساءلنا، لا رغبة في الخلاص في الخندق العاطل عن العمل، بل توقاً إلى ملاقاتك... سنأخذك إلى أكواخنا ونأكل الجراد والبصل معاً، وننام معاً، ثم نصحو في أول الصباح بخفة ورشاقة لنبنيك وأنت مرتاح، الذين يحررونك هم الذين يبنونك يا سيدي الوطن، وستكون مثلنا ولنا جميعاً))[1].

تمثل صور الحب للوطن بؤرة الرؤية لدى درويش، فليس ثمة حب يؤرق ويحن ويهز الأديب وهو يحاكي ويتساءل ويقاتل ويناضل عن امتداد حياته، إلا ليبوح عن هذا الحب الذي لا يغادر قناعاته الذي يستحيل إلى بوح أبدياً على بساط الزمن الدخيل والظالم كما يظهر في مقالة (تقاسيم على صورة القدس):

((حدث مرة واحدة في حياتي أن رأيت التاريخ مدججاً بكل هذه الأسلحة وأغصان الزيتون الشرسة, لم يحدث أن تحول إنسان إلى صخرة, ولم يحدث أيضا أن تحولت صخرة إلى جندي. حدث ذلك في القدس, وكنت أنا الصخرة والإنسان والجندي... من علمني هذا الصمت؟ ومن علم القدس هذا الجمال؟ من سقاني ذبذبات هذا الزلزال؟ ومن علم القدس مرافقة هذا المساء الذي لا ينتهي؟ من علمني كل هذه الشجاعة؟ ومن علم القدس كل هذه السخرية؟ لا.. ليس الوطن انتماء الظل إلى الشجرة, ولا انتماء النصل إلى الغمد, كلا ليس الوطن علاقة قربى ودم. ليس الوطن دينا. ولا إلهاً. الوطن هو هذا الاغتراب.. هذا الاغتراب, هذا الاغتراب الذي يفترسك في القدس. ومن هنا, تصبح الجنة أقرب.., لم يكن لقاء, ولم يكن وداعاً, اللحظة الفاصلة بين اللقاء والوداع, بين اللحم والعظم ـــ هي هذه الحالة التي تقابل فيها القدس))[2].

وقد تميزت ذاتية درويش بعنفوانها, وتفجر ذكاؤه في تصوير الحلم والواقع, الحياة والموت, الوطن والاستلاب, الطفولة والرجولة, البطولة والخيانة.. كلها صور فأصبح بياناً نقياً يفدح فيه عن صدق المشاعر والوعي حول ما يدور حوله ويحاول حين يكشف عن معاناته وتجاربه ومحيطه ورواه أن يشرك العالم كله بمعاناته.. ويريد

---

(1) وداعاً أيتها الحرب وداعاً أيها السلام: 148- 150.
(2) يوميات الحزن العادي: 155- 156.

منه أن يرى الذي يحدث بعين أكثر واقعية وصدق لا يعجز القارئ أمام مقالاته الذاتية... وهي تعكس انثيالات وجدانية هي محصلة مشاعره المتدفقة الحرة التي تنساب مثل نبع ماء صاف.. وقد تقودنا مقالة (وطن بقلم الرصاص) إلى خارطة الوطن (فلسطين) التي حفرت في ذاكرة الأديب ولا زالت تتدفق في شرايين قلبه... لكنه حبيس, لكنه نشيد الدم كسكنة القلب: ((**إن العصافير ليست حرة, وان الوطن يولد في منفى, إني أروض حالتي والتصق بالبعيد, وزندي يتحرر في قيدي... يصير الوطن في حجم القبلة وفي مسافة الطعنة, فليعبر نشيد دمي جسر الحيرة وخيانة السيف... كان الوطن كله يختبئ خلف رصاصة, انطلقت فآفاق..**))[1].

أما صورة الحبيبة (المرأة) فهي تمتاز بأنها جندية لا تحزن، وهي قد تكون رمزاً للوطن (فلسطين) كما هو واضح في مقالة (والشارع لي):

((**حبيبتي لن تحزن.. ليست الحرب نزهة ولا احتفالاً، ولكننا كنا نُقتل بلا حرب ومن قلة الحرب، لم تبتهج أم بولادة طفل, كما تحتفل الأرض الآن بميلاد الأمة, عشرات السنين المكبوتة تستيقظ الآن من الحرمان.. وهذا موسم الزيتون، ولا تجمع إلا شظايا القذائف وعيون الشهداء هذا مهر الأرض التي نزف إلى الرجال... الفتاة تنام معي في الليل... في الصباح تصير جندية.. تعلوا! الأرض تغلي من الشهوة، والعاشق يرسف في الأغلال**))[2].

وفي اغلب الأحيان فإن صورة الحبيبة تتجسد في ملامح الحبيبة الغالية(فلسطين) لأن الأرض هي الحبيبة المتسلطة بحبها على الأديب، علـه يجد فيها نشوته وسلوته المضاعة مع ضياع فلسطين، وهذا ما يصوره درويش في القسم الرابع من مقالة (الفرح عندما يخون) فيقول:

((**وعلموك أن تحذر الفرح، وتسألك أمك، أن تعتني بسلامتك، والمصير كل المصير يأخذ شكل طلقة، ترى الحرب ولا ترى موتاً، تخرج منك الذكريات إلى الأبد، ولا وقت للتصور القادم. تذكر فجأة، إن فلسطين بلادك، يأخذك الاسم الضائع إلى عصور ضائعة، كأن هذه المرأة النائمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط تصحو دفعة واحدة حين تناديها باسمها الفاتن حرموك من الأناشيد المدرسية القديمة وسيرة الثوار والشعراء الذين خاطبوها، الاسم يعود.. يعود أخيراً من رحلة العبث، تفتح خارطتها كأنك تفتح أزرار ثياب حبيبتك الأولى لأول مرة... وفي عكا أجلسك الحب على صخرة البحر، ترى إلى الخارطة وتصفر لحناً مرحاً مرحاً... تمد أصابعك**

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 12- 15.

(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 76- 77.

الطويلة إلى أجزاء المرأة الذكية النائمة على ورق صقيل... ثم تقبلها وتعانقها وتموت من اللذة ـــ الوعد))[1].

تحدد ثنائية الحرمان من الوطن والحبيبة صور ومشاهدات الشاعر الشخصية ليسترجع بها ذكرياته ماذا يفعل إزاءها هل " يقدم كشف حساب بعد أن ابتعد عنها زمنياً؟ أية رؤى وتخيلات، تذكرات وأحلام، تلك التي يستلها من مخزون لا وعيه ويلتقطها من قعر ذاكرته؟ لا يمكن طبعاً أن يعود الشاعر بعد أن نضج واستوى إلى طفولته مجردة، بل هي مقرونة بالمكان؛ لذا تغدو مدن الطفولة، مسرح تلك الرؤى والتذكرات، وتصبح شوارعها وأنهارها وبساتينها وبيوتها، جزءاً من ديكور الحلم الذي يبرق في الذاكرة وأحيانا تستهلك الأديب تفصيلات تلك المدينة، فنراها مجسدة كما مر بعيني طفل وتتعرف على تاريخها وجغرافيتها وناسها من خلال كوى فسيحة تفتحها ذاكرة الكاتب، وأحياناً أخرى تتأسس تلك المدن في وعي الكاتب وهو كبير فيلتقي من خلال وعيها المتكون"[2] وهذا ما تميزت به مقالة (الجبنة الصفراء) إذ يقول فيها:

((جدي كان في مثل هذا الشهر يعيش على أعصابه, يكف عن الكلام ويكثر من الإصغاء للمذياع، ومن التدخين... كان يقضي يومه في قراءة الجرائد.. ويقضي ليلة من التأمل واستعادة الذكريات... وهو ينتظر... وهو الذي رباني، وكنت أحبه أكثر من أبي))[3].

إن صور محمود درويش ومشاهداته هي ذكريات كامنة، أو صور حية معاشة، قد تكون لمواقع من الوطن المحتل، أو في المنفى، أو في أماكن اللجوء حيث يعيش اللاجئون في الخيام، هي حصيلة مشاعر حزينة، محاصرة، محاربة جائعة، وممزقة، وشهيدة، أو جريحة.

ب- الغربة والحنين للوطن

يعد موضوع الغربة والحنين للوطن من الموضوعات التي اتسعت لها فنية المقالة الذاتية الوجدانية, إذ يعبر محمود درويش عن حبه وحنينه للوطن, الذي فارقه طويلاً, منذ الطفولة وهو يعاني في المهاجر العربية من الغربة التي كما قيل عنها " غربة شعب ممزوج بعذاب لا نهاية له، فهو ليس نفياً، وليس هجرة، انه مأساة أمة كاملة "[4]. ولأنه عاش الغربة بنفسه، فان الحنين إلى الوطن يملأ فؤاده كما " يملا

---

(1) يوميات الحزن العادي: 140- 141.
(2) الأصابع في موقد النار، حاتم الصكر: 99.
(3) شيء عن الوطن: 201.
(4) الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي: 86.

أفئدة اللاجئين ويستحوذ على مشاعرهم مما عانوا من آلام الغربة والرحيل، وعن تلك الأيام التي كان يحيلها اللاجئ يجوب البلاد من قطر إلى قطر آخر، لا يهدأ ولا يطمئن، ومن هنا نسمع صوت الكاتب والشاعر يصور لنا الغربة وحرقة الوداع والآلام التي تتولد من خلال النزوح والتوديع واللقاء "[1].

والغربة لدى محمود درويش تعني الموت والانكسار، ونعني أن يخفت إيقاع الحياة، وتنطفئ لحظات الأمل، ولا شيء سوى التعب والإعياء وانتظار الموت وتفعل الغربة فعلها المؤثر في ذاتيته بشكل عنيف وسافر، ففي مقالة (شيء عن الوطن) يقول:

((**هذا الوطن، الصغير كقبضة اليد، الواسع، مثل كتاب الأبد، هذا الرائع.. هذا الجارح والمجروح، هذا الوطن، هل يتحول إلى سجن لأبنائه؟.**

لقد تمرس كثيراً، بكل الأشكال والألوان، مات كثيراً، عاش كثيراً. أسماؤه تتغير، وأشجاره تموت وتحيا، ونحن نعانقه عناق الموت ـــ حتى الموت... ومن هذه الحقيقة الساطعة كالشمس والخنجر، من هذا الانتماء المبدع، نأخذ أسباب الخضرة: لنا وطن.))[2].

إذن (لنا وطن) ناقوس يدق في آفاق الغربة والحنين، هي عبارة عن تذكرة كل الأنام، يطلقها محمود درويش، لتكون بؤرة الألم التي تتمركز حولها كل أحاسيس الحياة المجهولة التي يعيشها وهي أحاسيس قلقة ومتوترة لكنها تنهض به، على الرغم من صوت الألم ونزيف الجرح لتبعث فيه الخضرة والحياة، لتتوحد صورة انفعالاته في عبارة (لنا وطن).. والبعد عن الوطن لدى الفلسطينيين كغيرهم من البشر، يشعرون بالوطن " الذي نكبه الاحتلال واستبد به الأعداء، فساءت أحواله واستنزفه الآفات وأهلكته المجاعة وضيعه التشرد... و توجعهم آلامه تسرهم أفراحه ـــ أن وجدت ـــ وقد عانى بعضهم مرارة الفقر، واكتووا بنار الفاقة، وعرفوا ذل الحاجة "[3].

والغربة تعكس في نفسية درويش وغيره إلى الحنين إلى الوطن، إلى أن يعري حقيقة الاحتلال، أن يقاوم، أن يناضل ويمكن القول عن محمود درويش بأنه صاحب قضية وتجربة، ولديه وسائل قوية ليطرحها ذلك " أن تجربته لا تعني تجمع الأفكار

---

(1) الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، د. محمد شحاذة عليان: 86.
(2)شيء عن الوطن: 7.
(3) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 48.

والوقائع بشكل ثانوي، بل هي تمثل إدراكاً ثقافياً وحسياً وعاطفياً لمجمل الحياة "[1]. التي يحياها في الوطن أو بعيداً عنه، ولكن الغربة تؤرقه وهي تعني لديه حالتين: " حين أجرب الموت وحين أجرب الحياة، ولقد مت لمدة ربع قرن وشبعت موتاً "[2]. هذا هو إحساسه بالغربة، نجدها في مقالة (ذهب إلى العالم. غريب عن العالم) يقول فيها:

((واليوم، اليوم لم يذهب العالم إلى غرفة النوم، وقف على حافة الكرة الأرضية، وأمرني بالخروج من دائرة الإنسانية، لأنني حاولت أن اخترق الدائرة، حاولت الدخول... هكذا يفهمني العالم، وهكذا يريدني، لقد انتهى صراعنا ما دمت خرجت من فلسطين، وما عاد للنار حارس، واكتملت معادلة سلام العالم، وصار الأمن الدولي مشروطاً بغيابي عن فلسطين وعن الإنسانية. لم أودع أحداً، ولم أودع شيئاً، دحرجني كعب بندقية من الكرمل إلى الميناء، وكنت أتشبث بخاطرة الله واصرخ، حتى ضاع صوتي ووعيي، ولكن العالم وعدني بصداقة مقابل التوقيع على هدنة مع النفس، لأن الهدنة مع القاتل لا تتم إلا بعد الهدنة مع النفس))[3]. والشعور الوجداني لدرويش هو شعور بألم ناشئ عن محاولة تجريد من الوطن والأمن: ((ولقد تصدق العالم عليَّ: أعطاني طحيناً وثياباً، وخياماً كثيرة لي ولأطفالي الذين لم يولدوا مقابل أن أعطيه الوطن والأمن، وحين كنت اشعر بالبرد في المنافي، كانت صحف الرأي العام العالمي تقيني من الأمطار والارتجاف، وحين كنت اشعر بالجوع، كانت فقرة من ثلاثة اسطر في خطاب رئيس دولة متحضرة تشبعني، وحين كنت اشعر بالحنين، كانت الأغاني الأجنبية المنبثقة من راديو الجيران، تجعل الرحيل تجربة جميلة... وهكذا يذهب العالم إلى غرفة النوم... وينساني، لا توقظوا الضحية، لئلا تصرخ))[4].

وبهذا الأسلوب الساخر يبث الأديب وجدانياته وما فيها من أحاسيس الضياع والاحتضار والموت وتصبح الغربة لديه " عاطفة واحدة ذات شخصية واحدة وطابع واحد، فكل عاطفة هي وحدة متميزة بنفسها، وخاصة في تركيبها وفي تكوينها ولها بعد ذلك وظيفتها وعملها ولها كذلك موضوعها الخاص وتاريخها الخاص"[5].

---

(1) أثر الفكر في الإبداع الفكري، ه. كزفنر، ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروة، مجلة الأقلام، العدد(1) لسنة 1978: 26.

(2)يوميات الحزن العادي: 171.

(3) المصدر نفسه: 171- 172.

(4)المصدر نفسه: 171.

(5) الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، د. محمود محب الله: 46.

إن عاطفة الإحساس بالغربة تمتزج فيهل كل عواطف الكره والحقد والحب والألم والفرح والحزن، هي عاطفة شاملة نحو عالم كثير التحول عالم لا تشعر فيه بالاستقرار؛ لأن العيون تبقى موجهة نحو الوطن دائرة الحب الأبدي.. الغربة لديه رهان، سكينة على عنقه، موت مجاني:

((ماذا يفعلون باليأس، اليأس صنو الموت، لا أريد من العالم شيئاً إلا أن يرفع سكينه عن عنقي، لقد كنت رهينة، أنا الرهينة منذ خمس وعشرين سنة في أيديكم، وأطلق اليأس سراحي، من يعيدني إلى الأمل غير إعلان يأسي!، ومن يحررني من الأسر غير قدرتي على الانتحار! ليذهب العالم إلى غرفة النوم، أنا صمام أمان العالم- هذا هو الدور الذي حددتموه انتم لي. ليس بوسعكم أن تحددوا لي شكل اعتراضي على موتي المجاني))[1].

والحرب مع العدو الصهيوني هي وحدها التي ستنهي الغربة وتلبس الشوق والحنين ثياب الحياة الهانئة الآمنة التي يحلم بها محمود درويش لأن " الحرب ليست حادثة في تاريخ الوطن، بل هي حادثة في تاريخ الروح، لهذا تنتفض الروح وتحشد كل رموزها وأساطيرها دفاعاً عن الماضي والحاضر"[2] لذلك يقول في المقالة نفسها:

((وجاء دوري الآن لأُسمي نفسي ما أشاء، وافعل ما أشاء، أقف في قلب العالم. انتزع ذراعي، ألوح بها في الهواء، أحولها إلى كرة والعب معكم.. أقذفها في شبكات عيونكم يا قضاة الحضارة، ليس من أجل الوطن، ليس من أجل الشعب، وليس من أجل الانتقام... هذه هي حريتي الوحيدة))[3].

تخرج معاني الغربة والحنين للوطن عن مدلولاتها المعروفة في إثارة الحزن والبكاء الشخصي لتكتسب معاني جديدة، كالاحتجاج على التمزق، وتقويض المدن العربية في الوطن الحبيب، ويلفت النظر إلى حقيقة الغزاة الصهاينة، وينقل إحساسات وحالات العربي الفلسطيني أمام هذا الاحتلال، ففي مقالة (الوطن بين الحقيقة والذاكرة) يقول:

((ما هو الوطن؟ الخريطة ليست إجابة، وشهادة الميلاد صارت تختلف، لم يواجه أحد هذا السؤال كما تواجهه أنت، منذ الآن وإلى أن تموت، أو تتوب، أو تخون، قناعتك لا تكفي، لأنها لا تغير ولا تفجر ولأن التيه كبير، ليست الصحراء أكبر

---

(1) يوميات الحزن العادي: 176.

(2) قصيدة الحرب، محمد العزي، ضمن كتاب مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة، المحور الثاني: الشعر والتحدي: 18.

(3) يوميات الحزن العادي: 176- 177.

من الزنزانة دائماً. وما هو الوطن؟ ليس سؤال تجيب عنه وتمضي، حياتك وقضينك معاً، وقبل ذلك وبعد ذلك هو هويتك. ومن أبسط الأمور أن تقول:

وطني... حيث ولدت، وقد عدت إلى مكان ولادتك ولم تجد شيئاً، فماذا يعني ذلك؟.. ومن ابسط الأمور أن تقول وطني حيث أموت.. ولكنك قد نموت في أي مكان، وقد تموت على حدود مكانين، فما يعني ذلك؟ وبعد قليل.. سيصبح السؤال أصعب، لماذا هاجرت؟...، لماذا هاجرت؟ منذ عشرين عاماً وأنت تسأل: لماذا هاجروا؟ ليست الهجرة إلغاء للوطن، ولكنها تحويل المسألة إلى سؤال.. لا تؤرخ الآن، حين تفعل ذلك تخرج من الماضي، والمطلوب هو أن تحاسب الماضي لا تؤرخ إلا جراحك، لا تؤرخ إلا غربتك.. أنت هنا.. هنا حيث ولدت وحيث يأخذك الشوق إلى الموت.. وما هــو الوطن؟ ولكنك جزء من كل، والكل غائب ومعروض للإبادة))[1].

وهكذا يصير الوطن لدى درويش هو الإجابة، وهو الشوق والحنين إلى الماضي، وهو الجراح، وهو الكل الغائب المعروض للإبادة، ويضيع تاريخ الإنسان فيه، ليؤرخ الإنسان للجراح، أن الغربة والهجرة لا تلغيان الوطن أبداً بل إن الغربة والهجرة تستفيض بالثورة والجهاد والنضال من أجل الوطن هو الوطن؛ لذا سنرى في مقالات محمود درويش صور حافلة بالبطولة والاستشهاد إذ يحمل الوطن بين راحتي الشهيد. هذا ما جاء في مقالة (شكوى الشهيد الفصيح) التي قيلت على لسان الشهيد:

((سيدي الوطن! لم أعد قادراً على الانحناء أمامك. ولم يعد بوسعي الاشتراك في حفلات توزيع الأوسمة على أبطالك العائدين، وحين تسللت إلى أحد مقاعد المتفرجين، زجرني أحد الحرس، وأعادني من حيث أتيت، فتدحرجت من هراوته إلى أول قبر.. واختبأت... هذا هو دوري... ولم اطلب ضريحاً خاصاً بي، لأن موظفي دائرة تسجيل البطولة لم يعترفوا باسمي المبعثر بين الهواء والرمل.. حين جاء الوزراء والسياح الأجانب وهواة جمع الآثار الحربية إلى جثة العاصفة النارية، كانت عواطفهم تتدفق على قطع الحديد المتناثرة.. أشلاء طائرات ودبابات، كانوا يجمعونها بلهفة تشبه لهفة أمي وهي تجمع ما نسيه الحصادون في الحقول. وحين مروا، مصادفة، بأشلاء جسمي واسمي، ابدوا إعجابهم بالتضحية واشمئزازهم من اللحم البشري، وقالوا: ليست هذه قطعا نادرة، ولا تصلح للمتحف والديكور والذكرى وتركوني هناك))[2].

لقد استطاع محمود درويش من خلال هذا المدخل إلى مقالته أن يصور بسخرية عالية هول الرأي الأجنبي ومشاعره إزاء قضية فلسطين. وما هي أشلاء

---

(1) يوميات الحزن العادي: 51.

(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 146- 147.

الشهيد إلا دليل على تفاهة الرأي العالمي إزاءها. إذ يصبح الشهداء هم الأموات والضحايا.. ومن شدة الكسل تلمع توابيتهم وتزخرف أضرحتهم. ومع كل ما يقال حول الشهادة والشهيد فانه يبقى رمز الوطن ونبضها الذي لا يخفت أبداً، فيقول محمود درويش في المقالة ذاتها:

((**هذا هو دوري يا سيدي الوطن. خادمك في الحياة هو خادمك في الموت بلا أجر... ومن كان فقيراً حيا يواصل عمله في خدمة الشهداء الأغنياء ميتاً، على حياتي السلام، وعلى جثتي ينزل الظلام، والموتى من شدة الكسل يلمعون توابيتهم ويزخرفون أضرحتهم ويحولونها إلى مزار قومي، لا تظن أن هذا الأمر يهمني، فمن لم يكترث باسمه حيا لا يكترث بمستقبل ذاكرة شهيد! والأبطال دائماً أحياء ومن عائلات عريقة**))[1].

إن حديث الشهيد مع الوطن الذي جاء على شكل إشارات وتلميحات للمرارة التي يعيشها الوطن وأبناؤه، هي بمثابة بيانات احتجاج على الغزاة وقسوتهم، وإعلان عن ضياع الوطن الحبيب، ودليل على غربة الأديب ومنحة وطنه التي لم تنته أبداً. يقول: ((**وضعونا في خندق انتظار الموت سنين طويلة، وقالوا: هذا أمر الوطن**))[2] ولكن الذاكرة تبقى دوماً تمتلك حب الوطن والحنين إليه، وما الغربة إلا إثارة لتلك الذاكرة بالشوق وتومئ بالجهاد والنضال والشهادة والموت من أجل الوطن الذي تبقى الذاكرة تحتضنه ويبقى التوق إلى عودته إلى أبنائه الفلسطينيين، وطريق العودة وتحرير أرض الوطن هو سفر أبطاله وشهدائه الذين لن يتوانوا في الدفاع عنه.

---

(1) المصدر نفسه: 147.

(2)المصدر نفسه: 148.

ج- الوصف

يبرز الوصف في مقالات محمود درويش ليشكل فيها " النمط الفاعل الذي يؤدي وظيفته... في المقالة ويتحول إلى أداة تطور المعاني وتكشف الموضوع وتبلور الحالات والمواقف"[1] إذ يصور الكاتب في مقاله الوصفي البيئة المكانية، التي عاشها تصويراً ينم عن إحساس عميق، وبصر نافذ وإدراك واعٍ، مع دقة الملاحظة والتعاطف مع الطبيعة والوصف الحي الذي ينقل أحاسيس الكاتب[2]. وهذا ما نجده في مقالة (أين الحصان الخشبي) التي يقول فيها:

((**تنزل الشارع لتبحث عن بطاقة جميلة ترسلها إلى صديق فماذا نجد؟ لا صورة لوردة واحدة، ولا رسماً لشاطئ أو عصفور أو امرأة، لقد اختفت كلها لتعطي المكان للدبابة والمدفع والطائرة وحائط المبكى والمدن المحتلة ومياه قناة السويس المنقولة إلى هذه البطاقات، وحين تلمح غصن زيتون تجده مرسوماً على جناح طائرة مقاتلة من صنع فرنسي. وحين ترى فتاة جميلة تجدها مدججة بالسلاح، وحين تقع عيناك على مدينة تجد خلفيتها حذاء جندي، فيقع قلبك على الأرض ولا يبقى إلا أن تنكمش في زاوية الشارع المزدحم، لتفسح المجال أمام آلاف الأيدي الممتدة نحو بطاقات العيد الملونة..، ترسلها إلى يهود العالم تعبيراً عن فرحة البعث التاريخي، وعودة الأسطورة، وأنت لا تبعث إلى أصدقائك إلا صمت القلب الذي لا يصل، ويفاجئك الكرنفال في الشارع، ينفض عليك الضوء كما كان ينفض عليك وأنت خارج من زنزانة مظلمة، وأسراب من الأطفال. الحمائم مدججة بالسلاح، اللعبة سلاح والمتعة سلاح. وأنت ليس في طفولتك وشبابك غير حصان خشبي..**))[3].

وحين يوظف درويش الوصف في مقالته هذه فهو بذلك " يسعى لامتلاك وسائل التعبير وإتقان وسائل التأثير... التي تحفزه للخلق وتستحث عواطفه للإبداع لتجعله أقدر على مخاطبة جمهوره وأكثر سيطرة على بيئة "[4]. فإن أغلب الصور التي وصفها هي صور حية لما أصبحت عليه الحال في ارض فلسطين المحتلة. حيث السلاح، والغزاة وطائرة مقاتلة، الشارع المزدحم، والحمام المدجج بالسلاح وهو رمز للطفولة البريئة التي تركت ألعابها لتصبح اللعبة سلاح والمتعة سلاح، ولا يبقى من

---

(1) دير الملاك، د. محسن أطيمش: 268.
(2) المقال وتطوره في الأدب المعاصر، د. السيد مرسي أبو ذكرى: 74. وينظر: المقالة في الأدب العربي، د. حسين نصار، مجلة الفيصل، العدد (11) لسنة 1978: 19.
(3) يوميات الحزن العادي: 87.
(4) مسائل في الإبداع والتصور، جمال عبد الملك: 9.

وصفه للبيئة التي كان يعيشها سوى لعبته الوحيدة هي (الحصان الخشبي) إذ يتوقف زمن الطفولة عندها، وهو بذلك " لم يتوقف فقط عند وصف البيئة التي يعيش فيها كما أبصرها وأحسها بل خرج ورحل وصور لنا تأثره بالجديد الذي لم يألفه وانطباعاته التي سجلتها نفسه صدى لمشاهداته في رحلاته "[1]. فوصف العالم الجديد الذي عاشه الأديب في لجوئه تؤكده مقالة (ذاهب إلى العالم. غريب عن العالم) التي يشير فيها الكاتب إلى ما يرى من مشاهد وصور سواء أكانت مادية أم معنوية التي تسهم في تكوين الصورة الحقيقية عن تلك المشاعر النابضة إذ يقول فيها:

((في ساعة متأخرة من الليل، يذهب العالم إلى غرفة النوم... ريح تهب فجأة، فتنعش الموتى، من أين تهب؟ من كل الجهات.. من الوطن، ومن علمهم هذه اللفظة المهجورة؟ شعراء يغنون على ربابة، اقتلوهم... وهكذا ينام العالم وهكذا يصحو، هو مدجج بالسلاح، وأنا مدجج بالقيود والعالم المدجج بالسلاح))[2].

ويتتابع الوصف في هذه المقالة " من خلال شواهد المكانية، فهي علاقة وقول، فكرة وشاهدة، لغة وصورة، ماض وحاضر"[3]، فتصبح الصور فيها شاملة ومتكاملة.

أما مقالة (ازرق.. ازرق) ففيها وصف لشواهد جديدة ولبيئة اختلفت فيها الصور وتلاشت بعضها وربما فنيت بسبب الاحتلال. إنها زرقة مياه قناة السويس الداكنة، ويؤكد فيها الكاتب أن سطور هذه المقالة كتبت قبل حرب تشرين بعامين ونصف عندما زار مدن قناة السويس، ليصف فيها التحولات النفسية التي طرأت على العرب التي كانت متوقدة بأسراره الفاعلة، للتحرير والاستقلال والتوق إلى الصدام المباشر مع العدو فيقول فيها:

((رأيت مياهاً كثيرة في حياتي، ولكنني لم أرَ ماء في مثل هذه الزرقة الداكنة، وشاهدت رمالاً كثيرة فسيحة، ولكنني لو أُشاهد رملاً ممتلئاً بالوضوح والغموض معاً مثل هذه الرمال الشرسة. وعشت أماسي كثيرة تحاذي المجهول، ولكنني ما عشت مثل هذا المساء الذي يتناوب علاقة عجيبة مع المجهول. ورأيت جنوداً كثيرين في حياتي، ولكنني ما رأيت، قبل الآن: كيف تقف عيون التاريخ على أصابع هؤلاء الجنود. وعرفت الصبر والقهر والغيظ، ولكنني أقرأ الآن لأول مرة، صدر البركان المتأهب للانفجار. وتعرفت على أنواع كثيرة من الصمت، ولكنني لم أر صمتاً أكثر حكمة وقسوة من هذا الصمت الرابض كالأعجوبة على قناة السويس...

---

(1) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 11. وينظر: محاضرات عن فن المقالة الأدبية: 64.

(2) يوميات الحزن العادي: 171- 173.

(3) إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير: 159.

والحرب هناك لا تكتب بالحبر والمزاج، إنها لغة الموت الحقيقية. وهي ليست قصفاً إذاعياً يعقبه نشيد الختام السلبي، إنها الصمت الفاعل الذي يعقبه انفجار البارود واللحم البشري، إنها مهارة الموت الذي يرد إلى التاريخ نكتته الممجوجة التي أطلقها ذات يوم عندما كان شغوفاً بالمزاح. " إن زرقة السويس تشطرني شطرين "))[1].

هكذا تعبر المقالة الوصفية عن مساحة مضطربة ومتأججة مملوءة بالنبض والنار، لتعبر عن حالة الإنسان الذي يلتهب بالألم والغضب، والأسى الإنساني إزاء حالة الحرب التي تعد لديه فعلاً مدمراً وفناءً قاسياً لمكونات الحياة البشرية أينما اضطرمت.

يعتمد الوصف " على دقة الملاحظة وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة الذي لا يحور إلى عاطفة مسرفة، ثم على الوصف الرشيق المعبر الذي ينقل أحاسيس الكاتب مصوراً الطبيعة كما تعكس مرآة نفسه بصدق وإخلاص "[2] وحين يلجأ الكاتب إلى هذا الوصف ليفيد في توضيح الفكرة التي يريد أن يعرضها، فالوصف هنا وسيلة لا غاية[3].

لعل لحياة درويش ونشأته في قرية البروة، كانت السبب الذي ألهمه هذا الفن الوصفي من خلال تعمق إحساسه بالطبيعة وعلاقته الوجدانية فيها، فضلاً عن قلبه المتفتح وعقله النير فلا يمكن لهذا الكاتب أن يتجاهل الشجر البرتقال والبساتين والبحر والرمال والصخور، إذ إنه في وصفه يبتعد عن التجرد اللفظي لها. لتتحول إلى رموز وإشارات " جاءت ممزوجة بتجربته الإنسانية والوطنية"[4].

لقد أعلن محمود درويش في وصفه الطبيعة وكيفية التعامل معها في مقالته (حياتي وقضيتي وشعري) ليبين لنا رؤيته عن الطبيعة والابتعاد عن الوصف التجريدي لها:

((على اعتبار أنها لوحة جميلة، إن هذه الطبيعة تستمد حيويتها ومدلولها وقيمتها من خلال تعامل الإنسان معها، إن اهتمامي بالبرتقال والزيتون مستوحي من

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 43- 44.

(2) فن المقالة: 114.

(3) ينظر: في الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 138. وينظر: في الأدب وفنونه: 70.

(4) محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، رجاء النقاش: 168.

واقع الإنسان الذي غرس هاتين الشجرتين وسقاهما بالعرق والأمل منتظراً ثمار ما أعطى، هذه العلاقة بين الزارع والشجرة تحمل مدلول استمرار الحياة والأمل والوطنية والتلقائية))[1].

وفي مقالة (دفاع عن الشجر) يحول درويش علاقة الشجرة بالأرض التجريدية إلى علاقة رمزية وهي علاقة الإنسان بالوطن إذ إن الشجرة هي رمز الأرض وهي رمز للوجود والعطاء والبقاء، فيصف من خلالها فضائل الشجر وولعه الشديد بها:

((ما جئت لكي أعدد فضائل الشجر؛ لأنها أكبر من أن تحصى، وأجمل من أن تمجد وأشهر من أن تقدم! جئت لأدلي بهذا الاعتراف: أنا مولع بالشجر إلى درجة الغيرة، ويصعب علي أن اصدق حكاية عداء واحدة بين إنسان وشجرة، حتى لو كانت ثمرة منها سبباً في خروجه من الجنة! حتى الله سبحانه وتعالى عندما أراد إغراء الإنسان بالجنة أسرف في وصف الشجر، ويصعب عليَّ أيضاً من أن أصدق قتل الشجر لا يعتبر جريمة.

إن الشجر يحمل مجدين: مجد الجمال، ومجد المنفعة. وإذا كان هنالك فرق أحياناً بين الشيء الجميل والشيء النافع؛ فان الشجر قد حل المشكلة بأروع برهان. والشجر لا يبعث البهجة والرضا والنمنمة في القلب فحسب، بل يمد أيضاً بأناملة الخضراء إلى عقولنا، فيعلمنا الكثير الكثير: يعلمنا مثلاً كيف تدوم الخضرة في الفصول الأربعة في محاصرة الزمهرير.. في تأفف الحر.. وفي غضب الريح. وهذا الدرس الذي يلقنا إياه الشجر بعفوية عذبة تعبنا حتى سميناه الأمل))[2].

فالشجرة هي الوطن، والمزارع هو الفلسطيني الذي ليس لديه إلا ثلاثة خيارات هي: " أما الموت عن الشجرة، وأما الهجرة الإجبارية عنها فالتصقت بذاكرته وأصبحت رمزاً للوطن، وانتظار العودة، وأما بقي أمامها دون أن يمتلك القدرة على احتضانها واستمرار العلاقة بها، فتحولت لديه إلى نبع من الظمأ أو إلى امرأة تسبى أمام عينيه، هكذا لم يبق من الشجرة إلا مدلولاتها، أي أن الواقع تحول إلى رمز أو إيحاء "[3].

ومن أجل ذلك يقوم محمود درويش بخلع الصور التجريدية إلى صور نابضة بالإيحاء والرمز.. فتقدم مقالة (بيت مسكون بالأشباح) ما ساد مقالة (دفاع عن الشجر) من رموز موحية، فالبيت يرمز للوطن، والأشباح ترمز إلى الأعداء، فالمقالة تبدأ من الإحساس بأهمية البيت؛ لأنه وسيلة الاستقرار والأمان إلى إحساس الكاتب ذاته بالضياع والحزن اللامتناهيين حيث التداعي والذكريات فيقول:

---

(1) شيء عن الوطن: 273- 274.
(2) شيء عن الوطن: 90- 91.
(3) المصدر نفسه: 275.

((يصبح الرجل طفلاً، دائماً، حين يقابل أمه وهذا الرجل العائد من العودة يحدثني عنها كأنه يصلي... لم ير فلسطين منذ عام الخروج الأول، كانت تتجدد في الحلم وتتجلى في الرؤيا، وحين رآها كانت أجمل، هجمت عليه، بكليتها، فلم يمسك بأي طرف من أطرافها، كان يصف ويتلعثم، كل حديث عن هذا الوطن تأتأة. ومن يستطيع تنظيم عواطفه لا يكون عاشقاً، يكون محترفاً... أخذت أفراد العائلة، وسرنا في أزقة يافا نبحث عن بيتنا القديم، تغير شيء كثير ولكن حاستي لم تغيير، ووجدت البيت، لم يسمح لنا سكانه الجدد بالزيارة... أغلق" السكان الجدد " باب البيت يذعر واضح. وانتشر أصحاب البيت على الدرج وفي الحديقة، انصرف بعضهم إلى التعرف على أغصان الشجر وعلى التربة السمراء، وانصرف بعضهم إلى " سرقة " البيت والحديقة بالكاميرا، وسرق البعض حفنة تراب للذكرى والطهارة وتجديد الروح.. هم يسرقون البيت، ونحن نسرق صورته، يا للمفارقة..))[1].

لقد استطاع محمود درويش في مقالاته الوصفية أن يوحي للقارئ بأنه لا يتعامل مع الطبيعة والبيئة والأشياء بشكل مجرد؛ وإنما ممزوجة بمشاعره وأحاسيسه وحكايته، وأبطاله وملامح الوطن والناس وهو بذلك يخلق ويبتكر ويكشف عن رموزه التي طالما تعلقت بها نفسه، لذلك نجد مقالات عديدة أخرى في وصف البحر والمساء، وعيد الميلاد، وتأملات السجين في زنزانته[2].. وهي بحق انثيالات من خياله ووجدانه وأحاسيسه المليئة بالحزن والهزيمة والانكسار.

2- **الاتجاه الإنساني**

ليس ثمة سبيل إلى المقالة إلا أن " تتخذ من جذورها (الذات) ـ ذات الكاتب ــ متوغلة في القلب والعصب، ولترى النور بعد ذلك عن طريق الذهن أو العين على الوجه الذي تحتاج... واستكمال مدى الانفعال وعالم الخاطر في عدد محدود جداً من الصفحات وتخف الحال أو تعنف، تمتد أو تقصر"[3] وهي في ذاتيتها تلك تكون مدمنة على الصور الإنسانية أو مواضيع الإنسانية التي يترجمها الكاتب للكشف عن الدواخل الإنسانية وما يعتريها من مد وجزر الزمان بها. لذلك يضع فيها أحاسيسه ومشاعره وصوره الكثيرة الإنسانية التي تنثال عليه من حياته ومحيطه المزدحم.

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 106 - 108.

(2) ينظر: مثلا مقالات: ذاهب إلى البحر: 114. يوميات يوم عربي: 98. مقهى صغير على الشاطئ: 73. الزنزانة: 76. ضمن (وداعا أيتها الحرب. وداعا أيها السلام) وينظر: أيضا مقالة: حيفا بلا بحر: 94. ضمن (يوميات الحزن العادي).

(3) المقالة والرثاء، د. علي جواد الطاهر، مجلة الرابطة، النجف، العدد (3) لسنة 1975: 23.

ونعني بالحس الإنساني الذي " ينبثق عن النزعة الإنسانية المتأصلة في نفوس كتاب كثيرين مما دفعهم إلى المشاركة الوجدانية لبني جنسهم وتناول قضاياهم، والتطلع معهم نحو آمالهم وأهدافهم، حب الإنسان للإنسان، حيث يرى الرومانسيون الحب رأس الفضائل وهو عندهم وسيلة تغير النفوس وصفائها، ويتخذونه عماد مجتمع مثالي ينشدونه دائماً، مجتمع يقوم على دعائم المساواة والتراحم والتعاطف والإخاء، مجتمع متحاب لا بغض فيه "[1].

أ- القيم الإنسانية

وربما أن حياة محمود درويش وإنسانيته المتدفقة، ومشاعره العميقة أتاحت له أن يمتلك حس إنساني يمارس فيه كل طقوس العواطف الإنسانية وفي ذلك يقول في مقالة (هند تخربش على الجيتارة):

((وليست ثروة فلسطين برتقالاً وضحايا، هي أغنى من ذلك، إنها صميم العالم والمعاني التي هذبت البشرية.

حدَّق في الماء والطين: إنها رحم الحرية والعدل. وان من يعنيه التعرف على جذور الإنسان فيه ليس بقادر على الراحة ما دام المصير الفلسطيني الحاضر بعيداً عن الهدايا والنعم التي قدمتها فلسطين إلى العالم. هذه الأرض الرائدة ليسن محطة لتصدير القيم والأنبياء فحسب. إن الكفاح من أجل أن يكون مصيرها امتدادا لعطائها هو مهمة تتعدّى مسؤولية الفلسطينيين وحدهم إلى دفع الإنسانية نحو اختيار جدارتها مما تتمتع به من قيم))[2].

هذا هو قدر العربي وهو قد أنساني يسعى لتحقيق الحب الإنساني المنشود، فمحمود درويش في نزعته الإنسانية " يتخذ الكلمة وسيلة ليعبر بها عن خلجات الإنسان ومكنون أفكاره ومشاعره وعواطفه ليجعل منها صلة الوصل بين المشاعر الإنسانية الباحثة عن الخير المتجهة إلى الأفضل في سبيل سعادة الإنسان في مختلف آفاق الأرض"[3].

وخلال الحرب التي نشبت بين العرب واليهود على أثر ذلك القرار المشؤوم، تشرد مليون عربي فلسطيني فعاش أكثرهم في خيام، أو في بلاد عربية أخرى... وهكذا أصبحت المأساة الفلسطينية فقد عانى الشعب من غربة وتشرد واضطهاد وسلب، ولذلك أصبحت مأساة فلسطين مأساة الإنسانية؛ لأنها تمثل الإنسانية وهي تتحدى الأعداء الذين يحاولوا محو الإنسان العربي، من خلال المجازر الدموية العديدة

---

(1) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 123.
(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 134.
(3) دفاعاً عن فن القول، عبد الكريم غلاب: 13.

التي حاولوا فيها أن يثيروا الرعب والخوف في قلوب العرب، وأول هذه المذابح في تاريخ الإنسانية مذبحة (دير ياسين) التي قام بها الإسرائيليون في التاسع من نيسان عام 1948، وفي هذه المذبحة العنيفة قتل العدو الصهيوني ما يقرب من مئتي وخمسين مواطناً عربياً من نساء وأطفال وشيوخ، ولقد كان لهذه المجزرة أثرها الكبير على العرب والإنسانية جمعاء. وعن هذه المجزرة المدمرة، يعبر درويش في مقالته (مقالة الوطن بين الذاكرة والحقيبة) إذ يقول: ((**دير ياسين لم تكن دعاية عربية كما يقول البعض الآن، أن تطلب من شعب أعزل أن يموت ليس تحديداً صحيحاً لمفهوم الوطن. ليست هذه حرباً ولا كفاحاً هذه مجزرة..**))[1].

ودير ياسين وجه من وجوه الإبادة القاسية للإنسانية أدت بالنتيجة إلى ترك المواطنين ديارهم والهجرة إلى البلاد العربية, وفي عام (1956) قدمت إسرائيل أنموذجاً آخر من سياستها الإرهابية المتنافية مع القيم الإنسانية جمعاء, في مذبحة جديدة في قرية (كفر قاسم) العربية, وهي بذلك تهدف إلى القتل والسلب وإخراج العرب من ديارهم.

وتبدأ المأساة بتبليغ مختار القرية بفرض منع التجول في القرية, وفي ظل هذه المجزرة تولد مقالة (من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشاً) التي تحمل لوعة قلب ذبيح, وعقل مذهول من هول الفاجعة, وأنين نسوة فرقت أيدي الأعداء أشلاء أبنائهن. فهل ترتجف الإنسانية لهذه الريح العاتية اللاإنسانية. وكذلك لن تدخل هذه المجازر إلى دائرة النسيان, بل ستعمق كراهيتنا للظلم والاغتصاب, ومن أجل أن يتعمق الحب للوطن المذبوح, فيقول:

((**هنا ينامون, أسماؤهم كثيرة وموتهم واحد, كانوا متعبين وكان الغروب صغيراً، فسقطوا بسهولة ولم يقولوا شيئاً، لأن الموعد كان مفاجئاً... ليست مذبحة كفر قاسم يوما للذكرى, وليست مرحلة يغلبها النسيان. إنها تاريخ كراهية ممتد منذ استل هرتسل سيفه من التوراة واشهره بوجه الشرق, فسكان هذه القرية المسحوقة المهملة لم يفعلوا شيئاً يثير غضبة أحد ولو كان عدوا متطوعاً، لم يقاتلوا إلا الطبيعة القاسية والبؤس الأسود، فمن أجل ماذا ماتوا؟... بوسعنا أن نقول إنهم ماتوا من أجل أن نعمق كراهيتنا للظلم والاغتصاب، ومن أجل أن نعمق عبادتنا للأرض، ولكننا لا نحتاج هذا البرهان الضاري... إننا قادرون على تنمية حاسة الحب والكراهية بعيداً عن هذا الموت المجاني، فمن أجل ماذا ماتوا إذن؟**))[2].

إن الوحشية الصهيونية والعدو الصهيوني عدو لجميع الشعوب فكان شعار الصهيونية لا رحمة ولا شفقة، لذلك أراقت الدماء وسلبت الأرض، واغتصبت الناس،

---

(1) يوميات الحزن العادي: 54.
(2) المصدر نفسه: 107- 108.

وانتهكوا حقوق الإنسان في العيش بحرية وأمن وسلام، ولعل المحاورة التي حدثت بين المحامي والجندي الإسرائيلي تكشف عن مستويات النفس الإسرائيلية القائمة على القتل والكره كما في مقالة (من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً).

((في المحكمة ـــ المسرحية ـــ استجوب المحامي جندياً إسرائيلياً من الذين اشتركوا في المذبحة:

- **هل صحيح انك تعمل في البلاد, وانه طيلة حياتك أدخل إليك الشعور بأن العرب هم أعداؤنا؟.**
- **الجندي: نعم.**
- **المحامي: هل صحيح انك تحمل هذا الشعور نفسه تجاه العرب في إسرائيل والعرب خارجها؟.**
- **الجندي: نعم ليس عندي, أي فرق.**
- **المحامي: هل صحيح انك شعرت بأنك إذا لم تنفذ الأمر بقتل كل عربي في كفر قاسم إذا رايته خارج بيته, فانك تكون قد خنت الروح التي تربيت عليها في الجيش وفي حرس الحدود؟.**
- **الجندي: نعم.**
- **القاضي: هل كنت ستقتل كل واحد؟.**
- **الجندي: نعم.**
- **القاضي: حتى لو كان ذلك الشخص امرأة أو طفلاً؟.**
- **الجندي: نعم.**
- **القاضي: كنت تقتل كل من تراه؟.**
- **الجندي: نعم.**

وهذا ما حدث فعلا..))[1].

ما عسانا أن نفعل إزاء هذه الوحشية المتطرفة التي تجعل من موت الآخرين طعماً لسعادتها, والتي لا ترتد أبدا عن فرض الكراهية التي تحيا بها والتي تسلب الإنسانية حقها في السلام, لتحويلها إلى ركام هائل من الجثث التعبة والحزينة لتنهي آمال الفلسطينيين بالخيبة وليعم العالم الفوضى والوحشية ولكن أين الحس الإنساني في

(1) يوميات الحزن العادي: 108- 110.

كل ذلك؟. إنه الحس الذي " يحرص الكاتب على تأكيد مسألة الحرية, وحرصه على التنفير من اغتصاب حق الإنسان في الحرية "[1].

يعجب محمود درويش كل العجب من هذا العالم الذي بدأ يتخلى عن إنسانيته والذي يقوم على التنازعات والخلافات، والتسابق على التسلح وإثراء أسواق الأسلحة بكل وسائل الإبادة الجماعية بالتحديد، أما الفلسطيني فهو مشرد، مقيد وطنه، واللاجئ محبوس في خيام يعبر من خلالها الموت إليه في أي لحظة، وأصحاب الحضارة والتمدن دائما يكونون القتلة، وإزاء ذلك لا ينسى تعاطفه الإنساني مع ما جرى في اليابان، وقد قتل شعباً بكامله، وحكم على أجياله بالتشوهات والأمراض، وينطلق الكاتب من نوازعه الإنسانية ليكشف همجية الأعداء في مقالته (ذاهب إلى العالم. غريب عن العالم) فيقول:

((**هكذا ينام العالم، وهكذا يصحو، وهو مدجج بالسلاح، وأنا مدجج بالقيود، القوي متحضر، والضعيف بربري، وليس التاريخ قاضياً. التاريخ موظف، ماذا كان الهنود الحمر سيقولون لو هزموا غزاتهم، والذين يتباهون بالحضارة والتمدن، هم غالباً ما يكونون القتلة... القتلة... انظروا هذا الثلاثي: الأول- إبادة شعباً في الماضي، ويبيد اليوم شعباً وتربة في جنوب شرق آسيا، ويفجر علامة تحضره الكبرى – القنبلة الذرية - في شوارع العالم.. يطالبني بالخروج من حلبة الإنسانية ومن الكرة الأرضية لا ننى إرهابي. والثاني- ليس من الحكمة أن نذكره بماضيه. لقد أحرق عشرات الملايين من البشر باسم الحضارة والتمدن, والآن يتعانق القاتل والضحية وينجبان وليداً جديداً هو الثالث- فماذا ينتج عن زاوج الإرهاب إلا الإرهاب! وجاء الثالث المدجج بالتوراة والسلاح، واقتلعني من جبالي وسهولي ودحرجني من الحضارة إلى حضيض**))[2].

إن أهم ما يميز الاتجاه الإنساني في مقالات محمود درويش بأنها نبرات احتجاج على غياب الإنسانية التي حلت محلها الوحشية والإرهاب.

ب - الرثاء

يعد الرثاء من الفنون الأدبية صدقاً لأنه " يصدر أغوار النفس الإنسانية ويعبر عن اللوعة والحسرة التي تنتابها عند فقد من أحببت "[3] وقد زخر الأدب العربي بلحظات الرثاء والعزاء والتأبين سواء في الشعر أم في النثر عبر العصور الأدبية المختلفة.

---

(1) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 127.

(2) يوميات الحزن العادي: 173- 174.

(3) شعر الرثاء واستنهاض العزائم , د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم: 7.

يتحدث درويش عن الرثاء في شعره قائلاً: " المرثية في شعري ليست اختياراً وليست شكلاً لتطوير القصيدة، ومن المجون أن أقول بأنني استخدم أجساد أصدقائي لتطوير قصيدتي.. والرثاء باب في الشعر كما هو معروف إلا انه عندي ليس باب. إنه انغماس اضطراري في المأساة التي تتطور في بعض المراحل حتى تصل إلى الذبح, ونحن الآن في حالة ذبح، ولا يملك الشاعر ترف الاختيار في هذا المجال، كما إننا يمكن أن نلاحظ على المستوى العالم بأن شعر الرثاء هو الذي ساد أكثر من عشرين سنة مضت, رثاء الأشكال ـــــ الأحلام وحتى اللغة، والرثاء الذي استعمله في شعري ليس مجانياً, ولا رثاء تجريدياً, بل رثاء تجسيدي, والقصيدة عندي تبحث عن فتات قلب يتساقط وتجمع أجزاء اللحم الفلسطيني المرمي في الطرقات, تجمعه وتعيد تجسيده وتشكيله والإعلان بأننا نقبل هذا الدرب والاختيار"[1].

يأتي الرثاء في المقالة ليشكل أبرز الألوان الوجدانية الحادة بقتامة الحزن الذي ترتديه النفس في أحلك المواقف واشد الخطوب وأفدحها[2]. كما أن للرثاء خصوصية في المقالة إذ إنه لابد أن " يصدر عن قلق يحسه الأديب عما يحيط به من صور الحياة، وأوضاع المجتمع على شرط أن يجيء السخط في نغمة هادئة خفيفة, هي اقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ"[3] ولابد من أن يكون الرثاء بالتصوير دون جفاف ومبالغة[4].

يعد الرثاء من أبرز مضامين المقالة الذاتية لدى درويش التي كتبها في ذكرى المآسي التي مرت على فلسطين.. وربما الذكرى لا تشفي غليل الأنين, وهول المأساة.. وإنما يقف الكاتب إزاءها وقفة صمت.. من أجل الذين ماتوا في الطرقات وتحت الأنقاض, واصبح الموت.. جزء من الحياة الإنسانية ولم يعد الرثاء لدى درويش " مسالة رثاء ـــــ بقدر ما هي شاعرية تتخذ المقالة نافذة "[5].

إن عالم محمود درويش عالم مليء بالمآسي والموت؛ لذلك كان الرثاء في مقالاته يتناسب مع ما يحدث في عالمه (الوطن) لذا اختار للرثاء ثلاثة أوجه هي:

1. رثاء النفس.
2. رثاء الآخرين.

---

(1) محمود درويش يوضح بعض الملابسات التي تحيط بشعره , لقاء أجراه سليمان الشيخ , مجلة البيان , العدد (190) لسنة 1982: 32.
(2) ينظر: فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 23.
(3) جنة العبيط أو أدب المقالة: 4.
(4) ينظر: مقدمة في النقد الأدبي:292.
(5) المقالة والرثاء: 27.

3. رثاء المدن.

ومن مقالات النوع الأول: رثاء النفس مقالة (وطن بقلم الرصاص) التي تقدم المصير الذي سيكون عليه المعذب في السجون الصهيونية، وما سيحل في مصيره، هل سيموت؟ أم ينتظر في سجونهم حتى يتفتت لحمه بين أصابعهم؟ ثم يمشي دمه ليتصاعد أعراساً ومآتم وزنزانة تنقرض ليصبح مسيحاً بلا مسامير, فيقول:

((**كانوا يقدمون له هدية السنة الجديدة, كانوا يزفون له بشرى: سينقل من غرفة التعذيب إلى الزنزانة, مسيح بلا مسامير، وفي الجدران نافذة صغيرة تطل على البحر,... إن العصافير ليست حرة، وأن الوطن يولد في منفى.. أني أروض حالتي والتصق بالبعيد وزندي يتحرر في قيدي,... كانوا يرسمون على جسمه خطوطاً هابطة صاعدة تلتقي أطرافها في دوائر تشكل خارطة،... وهذه قطرة من دمي أقدمها مساحة تفصل بين يومين فيتحولان إلى عهدين. قطرة دم واحدة، منذ هذا التاريخ، تجعل اليوم الذي يسبقها عهداً ينزل إلى الماء لا ليغتسل بل ليغرق.. وهذه قطرة أخرى أقدمها لكي لا تبقى الخارطة ورقاً بلا نبات وجداول، وهذا دمي كله، أصبه كله للشجرة التي ما زالت نائمة في التراب.. كانت أجراس الميلاد تدق.. كانت أجراس الميلاد تدق، وكان المسيح يملأ الليلة والعالم، وكان حوار الصخرة والفكرة يجعل الصلاة نزيفاً، ويحول النزيف إلى صلاة**))[1].

كما يبدو فان حالات الموت هي حالات متكررة، فأصبح الموت في فلسطين جزءاً من تاريخها؛ لذلك فان الحس الواعي لحقيقة الموت لدية ليست حالة فناء بقدر ما تمثل حالة انبعاث التي لا ترد صحوتها إلا بالدماء والشهادة والجهاد. ولو رجعنا إلى المقالة السابقة وإلى تأمل سريع لشخوص تجربة الكاتب سنجدها تستوعب معاناته إزاء ما يعانيه من السجون، التي يحاول الأعداء أن ينتزعوا الروح من الجسد، والدم من الشرايين، لينتهي إلى انتظار الموت... حين يملأ ميلاد المسيح الليلة والعالم فرحاً، وبهذا التعبير الإيحائي يعمد الكاتب إلى رسم المحنة الفلسطينية.

أما مقالة (محاولة رثاء بركان) فهي تقوم على رثاء الشهيد غسان كنفاني الكاتب الفلسطيني المشهور، الذي نال بموته ذرى المجد. وتعد هذه المقالة من النوع الثاني من الرثاء وهو رثاء الآخرين فمن الطبيعي أن يرثي درويش صديقه لما أبداه هذا الكاتب والمناضل من أجل فلسطين فكان قلمه رمح في قلوب الأعداء، إذ يقول:

((**اكتملت رؤياك، ولن يكتمل جسدك. تبقى شظايا منه ضائعة في الريح،**

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 11- 16.

وعلى سطوح منازل الجديران، وفي ملفات التحقيق. ولم يكتمل حضورنا نحن الأحياء ـــــ طبقاً لكل الوثائق. نحن الأحياء مجازاً، وأنت الميت ـــــ طبقاً لكل الوثائق، أنت الميت مجازاً. نحزن من أجلك؟ لا. نبكي من أجلك؟ لا. أخرجتنا من صف المشاهدين دفعة واحدة وصرنا نتشوف الفعل ولا نفعل. أعطيتنا القدرة على الحزن، وعلى الحقد، وعلى الانتساب، وكنا نتعاطى الحزن بالأقراص ونتعاطى الحقد بالحقن، ونتعاطى الانتساب بالوراثة... ومن أنت يا غسان كنفاني! حملناك في كيس ووضعناك في جنازة وبمصاحبة الأناشيد الرديئة، تماماً كما حملنا الوطن في كيس، ووضعناه في جنازة لم تنته حتى الآن، وبمصاحبة الأناشيد الرديئة... كم يشبهك الوطن ! وكم تشبه الوطن... ولم تعرف من نرثي منكم، فالكل قابل للرثاء))[1].

لقد جاءت هذه المقالة وهي تفيض بالحسرة والألم لفقدان الصديق وهي لا تقل عاطفة وحزنا، من رثاء الأقرباء والآباء وذوي القرابة. فالمناضل والبطل يكون الموت رفيقه؛ لأنه يتوقع الموت في أية لحظة[2]. كما أن الوطن والشهيد حالة واحدة تمتزج لدى محمود درويش.. ولأن الشهيد غسان كنفاني من رموز البطولة الفلسطينية، والملحمة الإنسانية الأزلية.. ففي المقالة إحساس فاجع بالموت، ونلمس أن حقيقة الموت فيها توحي إلى الحياة والهوية إذ " لا يكون الفلسطيني فلسطينياً إلا في حضرة الموت، قولوا للرجال المقيمين في الشمس أن يترجلوا ويعودا من رحلتهم، لأنّ غسان كنفاني يبعثر أشلاءه ويتكامل، لقد حقق التطابق النهائي بينه وبين الوطن"[3] والكاتب في رثائه هذا لا يقدم لنا مشاعر الحزن والذكريات والانفعال والعويل؛ بل الرثاء لديه تعبير عن الموت، والرفض والتحدي، والتحام الوطن بجسد الشهيد، ليكون التوحد بينهما.

أما مقالة (صمت من أجل غزة) فهي تقدم رثاءً لمدينة من مدن فلسطين التي باتت جميعها تحتضر فيقول:

((تحيط حاضرتها بالألغام... وتنفجر لا هو موت ولا هو انتحار، انه أسلوب غزة في إعلان جدارتها بالحياة... منذ أربع سنوات، ولحم غزة يتطاير قذائف، لا هو سحر، ولا هو أعجوبة، انه سلاح غزة في الدفاع عن بقائها، وفي استنزاف العدو... لأن الزمن في غزة ليس عنصراً محايداً، انه لا يدفع الناس إلى برودة التأمل ولكنه يدفعهم إلى الانفجار والارتطام بالحقيقة ـ الزمن هناك لا يأخذ الأطفال تواً من الطفولة إلى الشيخوخة، ولكنه يجعلهم رجالاً في أول لقاء مع العدو، ليس الزمن في

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 17- 18.
(2) ينظر: الرثاء في الشعر العربي، د. محمود حسن أبو ناجي: 86.
(3) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 18- 19.

غزة استرخاء، ولكنه اقتحام الظهيرة المشتعلة... ونظلم غزة لو مجدناها، لأن الافتتان بها سيأخذنا إلى حد انتظارها، وغزة لا تجيء إلينا، غزة لا تحررنا ليست لغزة خيول ولا طائرات ولا عصي سحرية ولا مكاتب في العواصم. إن غزة تحرر نفسها من صفاتنا ولغتنا ومن غزاتها في وقت واحد. وحين نلتقي بها ـــ ذات حلم ـــ ربما لن تعرفنا، لأن غزة من مواليد النار ونحن من مواليد الانتظار والبكاء على الديار..))[1].

فالكاتب في هذه المقالة لا يزجي بالبكاء على غزة المدينة العربية البطلة التي تقاوم الغزو الصهيوني الهمجي، فالمقاومة الشعبية المتلاحمة التي تريد أن تطرد العدو من ثيابها، وموت غزة هو إعلان عن جدارتها بالحياة.. فالرثاء في مقالات محمود درويش يحمل طابعاً خاصاً به، فهو لا يتوجه إلى صفات المرثي، ويعكس مشاعر الحزن والألم إزاء الأموات؛ وإنما يحمل الانفجار، والمقاومة، والتحدي، والنفير، والتوحد لمواجهة العدو.

(1) يوميات الحزن العادي: 163- 165.

المبحث الثاني
المقالة الموضوعية

مدخل:

يحاول الأديب في المقالة الموضوعية أن يثير اهتمامنا حول موضوع ما، وهذا الموضوع قد يكون ضمن " ما يقع في بؤرة اهتمامنا الواعي في لحظة معينة وهو جزء بسيط جداً من المعلومات التي تنطلق من كل الأشياء والكائنات من حولنا "[1] والأديب وبما يمتلك من عمق في الثقافة واللغة والتراث يستحضر موضوعات تمدنا بالرؤية والتطلع.

وعلى الرغم من أن المقال الموضوعي هو المقال " الذي يتجرد الكاتب فيه عن شخصيته وتتوارى فيه عواطفه ويعالج موضوعه معالجة تقوم على تقصي الأفكار وتنسيق المادة المدروسة وإبراز عناصرها مستخدماً الأسلوب المحدد الدقيق الذي يهتم بإبراز الفكرة وتوضيحها مدعماً بالأدلة والبراهين "[2] إلا أن المقال الموضوعي لدى محمود درويش لا ينفصل عن شخصيته؛ لأنه يتحدث عن قضية تهمه سواء على مستوى السياسة أم النقد؛ لأنّ ذلك يتعلق بوطنه الذي يعتز به.

1- المقالة السياسية

إن الظروف السياسية القائمة في الأرض المحتلة وما تتركه من مشكلات عاشها الفلسطيني سواء أكان في أرض الوطن أم الخيام أو في المنفى. فإن قضية الوطن المسلوب من ابرز الموضوعات السياسية التي انبرى لها الأدباء ليعلنوا عن حق الوطن في الحرية والاستقلال، ويعلنوا الصدام الدامي في محاربة الصهاينة. وهو صراع حضاري وفكري أخذ مداه في تمزيق الوطن، وأخذ مداه في عدوانيته على كل ملامح الإنسانية من قتل ووحشية بالغة القسوة لأبنائه وشعبه.

إن هذا الصدام المؤلم هو جزء لا يتجزأ من مقالات محمود درويش، وقد لجأ الكاتب فيها إلى كل ما يؤكد الحق الفلسطيني المشروع لذلك استعان بكل ما يملك لمواجهة العدوان والكراهية ليعبر عن ولاء عميق لوطنه ولقضيته، ولأن العدوان ضد فلسطين موجه من عدوين ظاهرين في عدائهما هما: الاحتلال الصهيوني والعدو الأمريكي.

ولأن الحرب على فلسطين حرباً واسعة تتخذ خطورتها من خطورة الهدف الذي تبتغي أن تحققه وهو أن يحل اليهود محل الفلسطينيين بإزالتهم وإزالة كل المعالم

---

(1) مسائل في الإبداع والتصور: 9.
(2) المقال وتطوره في الأدب المعاصر: 76.

التراثية والإنسانية في أرضهم؛ لذا كان التعبير في هذه المقالات " تعبيراً مباشراً يلمس مواطن الإثارة في الجماهير، ولذلك فهي تتكئ أساساً على نوعية من العاطفة الملتهبة والمحتوى الوطني المستنزف للشعب على طريق الاتجاه إلى ضرب المستعمر وتحرير الأرض"[1]. فدرويش يحاول أن يثري مقالاته السياسية بكل الأفكار التي تصطدم مع الاحتلال الإسرائيلي والعدو الأمريكي.

أ- المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني

تضيء هذه المقالات ضرورة التحول السياسي في فلسطين المحتلة، وتضم موضوعات تصاعد المأساة الفلسطينية منذ إعلان الصهيونية ومن ثم هجرة اليهود إلى فلسطين، ومن ثم هدم كل الملامح العربية وبدأ عالم مهدد بالزوال... فبدأ الموت يطوف بين الأبطال، والخيام متخمة باللاجئين العراة، الجياع تلعب بهم ريح الفقر كيفما تشاء، وأصبحت المنافي تفتح أيديها للفلسطينيين وهذا ما يميز مقالات محمود درويش وهو في أرضه المحتلة، أو مقيداً في السجون، أو بعيداً في الملاجئ أو المنفى، وهي مقالات ملتهبة إذ إن مقاومة الأعداء المغتصبين تنعكس على تفكيره فتأخذ حيزاً كبيراً من تجربته الإبداعية، فمقالات (شيء عن الوطن) " قد كتبت أثناء وجود الشاعر محمود درويش في الأرض المحتلة، وأرجو أن يقدر الظروف القاسية التي كان يعيشها المواطن في أرضه تحت سيف السلطة الفاشية الصهيونية، وان يقدر بطولة هذه المقالات التي كتبت، ومحمود درويش يخرج من سجن إلى سجن ليدخل آخر... وتمثل المقاومة للوجود الصهيوني في أوضح صورها، عندما تقال وتكتب داخل الوطن المحتل، وعندما تكون فوهة البندقية مصوبة إلى صدر الشاعر الأعزل، إننا خارج حدود الوطن المحتل نستطيع أن تقول ضد إسرائيل كل ما نشاء، ولكن قولنا هذا ليس فيه جرأة ولا بطولة، ولكن عندما تقال كلمات حادة وقاطعة بمستوى ما قاله محمود درويش، فإنها تمثل كل الجرأة والرجولة الذهنية والعقائدية وأيضاً توضح كيف تتحول الرؤية السياسية إلى ممارسة نضال يومية "[2]، فيعلن في مجموعة (شيء عن الوطن) عن صور الإرهاب وعنفها من العدو الصهيوني لأبناء فلسطين، في محاولة ليجعل الوطن مقابر وسجون لأبنائها، فيشير إلى ذلك في القسم الأول من المجموعة، في مقالة (شيء عن الوطن) إذ يقول:

((لم يشهد تاريخ اضطهادنا الطويل مثل ما يشهده الآن، من عنف وفظاظة في ملاحقة أبناء هذا الوطن، كلهم متهمون.. كلهم مهددون وكلهم مضطهدون، وحكومة إسرائيل التي تشغل نفسها في استصراخ العالم للتيقظ إزاء ما تعتقد أنه إرهاب في

---

(1) عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية فنية، د. محمد احمد العزب: 172.
(2) شيء عن الوطن: 5.

أي مكان من العالم، ومن أجل أن تعترف الدنيا كلها بأن هذا الوطن هو وطن كل اليهود، لا تعترف بحق الذين غرسوا زيتونه، وتمارس ضدهم أحد أشد صور الإرهاب عنفاً.. وفي وطنهم، والعالم لا يدري كل شيء، إننا نوضع الآن خاصة، أمام هذا التحدي: إما أن تصغر أكتافنا، وترتد جباهنا عن الشمس، وأما أن نتنازل عن البقاء في هذا الوطن. ولكننا فرضنا تحدياً آخر: البقاء والكفاح... هل تريد حكومة إسرائيل أن تسجن كل العرب؟ وهل تريد تحويل هذا الوطن إلى سجن؟ إن منطلق الشك والإرهاب الذي يوجه خطى الحكومة يوصلها إلى وضع مثل هذا الاحتمال: إقامة المزيد من معسكرات الاعتقال! ولكن هل هذا الاعتقال الجماعي يضمن لها ما تريد؟.))[1].

ترى هل يستطيع العدو الصهيوني أن يسجن القلم في زنزانة خاصة لا تدخلها الأوراق؟ كلا، لأن الأدب ـــ كما يصفه محمود درويش ـــ في جوهره داخل فلسطين " هو الرفض والإدانة "[2] اللذان هما أساسان من أسس أدب المقاومة الفلسطيني.. الذي يدرك تماماً أن العدو ولد من رحم الإرهاب وقتل الشعوب البريئة. ومن أجل ذلك فإن الأديب لا يتوانى في إرسال الرسائل ليخاطب ضمير العالم، أو الشعب العربي أو ليحتج على ما يجري في أرض الوطن من حصار للمدن والقرى وموت جماعي أو اضطهاد في الخيم الذي يعبث بها الفقر والمرض والجوع.

وقد يوجه بطاقة ردع يفصح فيها محمود درويش كما في مقالة (بطاقة إلى وزير الدفاع) عن حقيقة الحال القاسية التي يحياها في وطنه في ظل الاحتلال وأفكاره التي نجدها " تنساب رقيقة خلال عاطفة الكاتب وخياله، منبثقة عما يشغله من أمور الحياة عموماً، وأمور الأمة والوطن والمجتمع والفرد... ونفسه خصوصاً"[3] فيقول:

((لعلي أعترف بأن اختيار العيد موعداً للكتابة إليك، محاولة لئيمة للتساؤل عن الحالة التي عاد بها العيد، ولكن صاحب التوقيع يملك من الذوق قدراً يدفعه إلى التمني، مع كل الناس، بأن يكون العيد بشير سعادة وأمن؛ لأن الذوق عندي يحمل طباع الزيت ما يجعله دائماً يطفو على سطح كل شيء، وهذه الحقيقة هي التي تبرز قولي لك: كل عام وأنت بخير!.

ولكن، من أنا: أنا واحد من الذين استطاعت قوتك أن تنتزعهم من أحضان الطبيعة التي يغرق في حنانها الناس في مثل هذه المناسبات.. واحد من الذين حرمتهم من الاسترخاء على العشب البري، ومن المشاركة بفرح العيد.. واحد من

---

(1) شيء عن الوطن: 9- 12.
(2) المصدر نفسه: 47.
(3) الثقافة الأدبية، د. علي جواد الطاهر: 16.

الذين أردت لهم أن يتعلموا درساً في الإخلاص لما تسميه بالأمن، فاخترت أسلوباً فريداً في التدريس هو إنزال العقاب! ولعلك تدرك أكثر مني أن الذين أخذت منهم هذا الأسلوب لم يعد عليهم بالثمار المأمولة، ولم يحصدوا منه غير الشر، وهذا هو حصاد الشر: لقد زدتني شغفاً بما أردتني أن اكرهه...، وساعدتني بدون أن تدري على تحديد هدف طلقاتي، إن حرماني من حرية التجول، منذ سنين، على أرض وطني الغالي، لم يقطع أواصر الحب بيني وبين وطني، بل تحول هذا الحب، بفضل هذا الحرمان، إلى حب ذي مذاق أسطوري، لأنك نتيجة خطأ في حساباتك، أضفت حرارة الحلم إلى برودة الواقع، فالتحم الحلم والواقع في قصة حبي لوطني التحاماً جعلني شبه مسحور بجبالي وسهولي وترابي وخرائبي))[1].

في هذه البطاقة الموجهة إلى وزير دفاع العدو تتضافر فيها وشائج الحب للوطن وصور النقمة على العدو، تعكسها صراحة القول، وصدق العاطفة والأحاسيس النابعة من نفس الكاتب الأبية:

((وفي المناسبة أصارحك القول اني فخور بتسديد حسابي ثمناً لمحافظتي على كرامتي وشرفي، وقامتي المنتصبة، انه فخر لابن فلاح أعزل مسلوب الأرض والحق.. أن يثير نقمة وزير دفاع دولة هزمت سبع دول، أيام كانت الدول تباع في الأسواق، وأيام كان القرش مثقوباً!... ونحن نعرف أن السياسة الرسمية ترمي إلى اقتلاع جذور هذا الجيل من هذه الأرض، التي جبلت بالعرق وجثث الخيول الغربية والدم والمطر والحكمة، وظلت جميلة.. جميلة في عيوننا لأنها أمنا. ولكننا في العيد نجيئك يا معالي الوزير، لنجدد الولاء لهذا الوطن الذي نعيد حوافي لقاء الخضرة بالزرقة فيه.. في قبلة ملائكية تضفي على حبنا اللمسات الرومانتيكية التي تأسر قلوبنا نحن الشباب، نبقى لنعمل على التناسق بين جماله الخارجي وجمال حياتنا، ولكي تبقى أغصان الزيتون فيه إشارة حقيقية لأحلام الناس كلهم في السلام والأمن الحقيقيين))[2].

يستدعي الكاتب هنا كل صور الأعماق من خلال نبض قلبه ليعلن احتجاجه ورفضه للاحتلال، فقد وضح رؤيته وتطلعاته في مقدمة مجموعته (يوميات الحزن العادي) التي يقول فيها " لا يحاول هذا الكتاب أن يصوغ سيرة ذاتية لجيل من الفلسطينيين صاغ لغته الخاصة في مواجهة الاحتلال الطويل، إنه تاريخ صوت صغير يحفر شكلاً في صخور الجليل التي تحولت إلى زنزانة وأفق، ثم انفتحت بوابة العالم على المنافي والحروب الأخرى، وما زالت الكتابة في البداية تؤسس الشكل الآخر

---

(1) شيء عن الوطن: 138- 140.
(2) المصدر نفسه: 142- 143.

للوطن. ولا تسأل عما وراءه، يتشعب الصوت إلى حدود لا نهايات لها، ويعي أنه يفلت منها إلى فراغ، وفلسطين التي تفيض من ذاتها ومن دمنا، وتحرص على إعادة صياغتها بكل أدوات المعجزة تحررنا وتأسرنا بلا مفر، أمِنْ دمنا إلى دمنا حدود الأرض؟. المعارك لا تنتهي واللغة لا تستقر وهذه الصفحات لا تروي القصة، بل تسجل بداية الصوت الصغير الذي زحزح الصخرة الأولى قليلاً، يبتعد الوطن ويقترب، وفي حزن كل يوم. في موت كل يوم تكتب الكتابة، أو تحاول أن تكتب لكي يكف هذا الحزن العادي على أن يكون قابلاً للقبول"[1].

وعندما تكون الغربة طوقاً والوطن مطوقاً، يحل الشوق حقائبه إلى الوطن ولكن ماذا سيلقي في أثناء عناقه له سجون بانتظاره التي لا تخلو غالباً من موت بطيء بلا رحمة، فتسجل كل هذا مقالة (الحمار حراً) بمعانٍ واضحة وحب مستعر ونفس متوثبة وعواطف ملتهبة بالشوق، ليوحي من خلال كل ذلك صورة الاحتلال الإسرائيلي اللعين، فيقول:

(ـــ تريد أن تسافر إلى القدس؟.

ترفع سماعة التليفون، وتطلب ضابط المهمات الخاصة في دائرة الشرطة، تعرفه جيداً فتسأله عن أحواله وتمازحه، ثم ترجوه أن يعطيك تصريحاً للسفر ليوم واحد بلا نوم، يقول لك: قدم طلباً خطياً، تترك عملك وتقدم الطلب الخطي على ورق صقيل.. وتنتظر الجواب، يوماً.. يومين.. ثلاثة أيام، ثمة أمل لأنهم لم يقولوا (لا) كالعادة، ولكنك تنتظر وميعادك في القدس يقترب، تسألهم.. ترجوهم.. تتوسل إليهم أن يقولوا أي شيء، أن يقولوا (لا) لتصبح في حل من الموعد، لا يقولون، تخبرهم أن أمامك ساعات معدودة يقولون: تعال إلينا بعد ساعة لتستلم الجواب.

تذهب، فتجد المكتب مغلقاً، تتساءل ببراءة: لماذا يخجلون مني؟ لماذا لم يقولوا (لا) كعادتهم. تغضب وتقرر ـــ بغباء ـــ أن تنتقم من امن الدولة.. وتسافر، في اليوم التالي يستدعونك للمثول أمام محكمة عسكرية عاجلة. تنتظر دورك وتسمع حكايات:... تذكر حكاية الشيخ والحمار والتصريح: كان الشيخ يحرث الحقل، علق عباءته على شجرة، والتصريح في جيب العباءة، اكتشف أن حماره قد ابتعد عن أرضه ودخل أرضاً أخرى، خف للحاق بالحمار، فاعترضه الشرطة العسكرية واعتقلته، لأنه دخل ارض الدولة بلا تصريح، قال لهم: معي تصريح.. في جيب العباءة المعلقة على الشجرة هناك. اعتقلوه وحاكموه.. وتذكر تصاريح الموت... تذكر أيضا الطفلة التي ماتت في حضن والدها أمام مكتب الحاكم العسكري حيث كان

---

(1)يوميات الحزن العادي: 5.

الأب ينتظر تصريحاً للسفر من قريته إلى المدينة لمعالجة طفلته المريضة. وتشعر بالسعادة لأنهم حكموا عليك بالسجن لمدة شهرين فقط، وفي السجن تغنى للوطن.. وتكتب رسائل إلى حبيبتك، وتقرأ مقالات عن الديمقراطية، وتقرأ رواية (الحرية أو الموت) فلا تحرر نفسك.. ولا تموت))[1].

يمكن أن نلاحظ في هذه المقالة الوسائل القمعية التي تستخدمها قوات الاحتلال ضد أبنائه. فلم تبتعد عن كل وسائل الموت لهم وتهيئتها لتنال أغلبية الشعب العربي المناضل في فلسطين.. ولكن لن يموت بل تعلن في كل يوم شرارة الغضب ومقاومة الطاغية الإسرائيلية بالقلم والدم الحر الأبي، ولن تتوانى مقالات محمود درويش عن تصوير المجازر الإسرائيلية في القرى والمدن الفلسطينية لترسم لنا حجم الكارثة التي ينتجها العدوان ضد أبناء الوطن الآمنين، ووقاحة العدو في قتل الفلسطينيين، وهذا ما يعلن عنه في مقالة (من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً) التي تعد تصريحاً سياسياً للعنف والجريمة لدولة صهيون:

((خلاصة القول أن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضد السكان العرب المدنيين والتي تمثل مذبحة كفر قاسم تجسيداً صارخاً لها، وليست ناشئة عن تطبيق " رديء " للتراث الصهيوني " الجيد" ولكنها تطبيق جيد للتراث الصهيوني الرديء،... إن تراث الصهيونية وينبوعها " الصافي" هو الذي حلل العنف والجريمة... وحين كنا نحاول دخول كفر قاسم لمشاركتها في أحياء ذكرى ضحاياها كان حرس الحدود إياهم.. القتلة إياهم يضربون حصارا حول القرية الثكلى, ويمنعون الزوار من نقل التعازي, هؤلاء القتلة الأبطال لماذا يخافون ذكرى ضحاياهم؟ ليس تأنيب الضمير هو الذي يدفعهم إلى قمع الذكرى, بل الكراهية والسيادية والشعور بالحاجة إلى برهنة وجودهم.. موجودون دائما مع الجريمة، وكأنهم يجدّدون عملية القتل كل سنة بمحاولة قتل الذكرى, وبلغ الانتقام أوجه حين دشنت مدينة السرقة " كرمئيل " على أنقاض أراضي ثلاث قرى عربية في الجليل في يوم ذكرى مذبحة كفر قاسم بالذات، لتظهر للعرب حقيقة نواياهم تجاههم, ولتدلهم على حدي السيف الذي تحاربهم به: القتل مرة، ومصادرة الأرض مرة أخرى، لم تكن كفر قاسم قرية ذات شأن في تاريخ فلسطين, ولكن ذلك الغروب الواقف على حافة الدم جعل كفر قاسم المجهولة ملحمة شعب صابر, وحين وقفنا على مدخلها, ذات مساء, أحسسنا بضراوة الفرح المكبوت فينا. وعرفنا الجريمة التي تنال عليها كل هذا العقاب, وأدركنا أن الحجارة هي الوقت، فجلسنا عليها نغني للوطن))[2].

---

(1) يوميات الحزن العادي: 92- 93.

(2) المصدر نفسه: 124- 127.

لا نهاية لمسوغات الإرهاب والعنف المسلح للصهاينة, لتعلن الحقيقة عن وجهها، لينكشف العالم النائم من دون أن يرى حق الفلسطيني. عالم ينام وهذا ما جاء في مقالة (ذاهب إلى العالم. غريب عن العالم) إذ يقول: " وهكذا يصحو, هو مدجج بالسلاح وأنا ـــ فلسطين ـــ مدجج بالقيود، القوي متحضر، الضعيف بربري "[1].

أما مقالة (بيت مسكون بالأشباح) التي تصور العلاقة بين الصهيوني والأرض التي يغتصبها وصعوبة خلق علاقة حب تلقائية بين الصهيوني والبلاد التي يدعي أنها وطنه فهو يقول فيها:

((ردا على صعوبة الأسئلة وخطورتها. شكلت الحكومة الإسرائيلية لأول مرة في تاريخها، وزارة للإعلام في محاولة لمواجهة تدفق الشك الذي جرح العلاقة بين الإسرائيلي. وبين " الوطن " وقال وزير الإعلام أن وزارته " ستهتم بدعم حب البلاد"، ماذا يعني أن تنصرف وزارة إلى تعليم حب البلاد؟ معناه أن كثيراً من الإسرائيليين لا يحبون " بلادهم " لأنها ليست بلادهم.. وهنا, هنا جوهر الخلل التاريخي العميق في مجمل المشروع الصهيوني، فالصهيونية لم تستطع طيلة تجاربها وتطبيقاتها أن تخلق علاقة الحب التلقائي بين الإسرائيلي وبين البلاد التي تدعي أنها وطنه، في أول محك صعب لهذه العلاقة سقطت قشرة الحب الاصطناعي، لأن السلاح- وحده - كان هو القلب. أنها لفضيحة صهيونية أن تقام وزارة لغرس قلوب اصطناعية للإحساس بالحب بين اليهود وبين أرض فلسطين))[2].

يعلن الحب سقمه وهجاءه ونقمته على الاحتلال الصهيوني اللعين, وعلى الأدب العربي أن يعلن حربه بكل ما يملك من أدوات.

ب. المقالات الموجهة ضد العدو الأمريكي

انطلقت أمريكا على نطاق واسع وبوسائل تكنيكية مختلفة وأحيانا تتناقض، أو تتناسب وتتكيف مع الخصائص المميزة لكل جهة من المنطقة وتتفاعل معها بمعزل عن الجهات الأخرى لتمارس لعبة التمايزات والتوازنات بين أطراف الصراع مع بعضهم البعض وداخل كل طرف على حدا، ويغدو قانون اللعبة بين الأطراف هو قانونها أولا، واختبار ضمان وجود التحالفات معها، واسلم الطرائق لتحقيق أهدافها

---

(1) يوميات الحزن العادي: 173.

(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 111.

وطموحاتها في المنطقة ثانياً[1]. ومن أجل ذلك فقد اتخذت أسلوباً مزدوجاً بين العرب وإسرائيل، واتجهت إلى مساندة الكيان الصهيوني على حساب العرب، واغدقتهم بالوعود وقد تحقق منها ما تحقق.

وقد انبرى محمود درويش ليحذر العرب من حقيقة هذه اللعبة الأمريكية السياسية التي تحاول من خلالها أن تحقق ما تصبو إليه من خلال زرع الكيان الصهيوني في الأرض العربية الفلسطينية. ومن تلك المقالات التي تناولت هذا الموضوع مقالة (طريق مسدود آخر) وقد توهم العرب الذين حالفوا أمريكا وظنوا أنها تعمل على حل المسألة الفلسطينية بحلول سلمية من خلال التسوية إذ يقول " في أوجه التفاؤل العربي الرسمي باحتمالات الضغط الأمريكي على إسرائيل من أجل تليين موقفها، تبنى حزب العمل الإسرائيلي (خريطة لحدود إسرائيل النهائية) وليست هذه الخريطة القائمة على برامج الضم والتوسيع الإسرائيلية الجديدة، أنها صياغة مكتوبة لما يسمى في إسرائيل (بالنظرية الشفهية) التي تحدد سياسة إسرائيل تجاه المناطق العربية المحتلة وتضغط حركة السياسة الإسرائيلية الخارجة وقد التزمت لهذا الاتفاق الشفهي كل الأجنحة التي يتألف منها حزب العمل الحاكم في عام 1969 "[2].

وهكذا تتضح السياسة الأمريكية التي تعمل على ترسيخ إسرائيل على أرض فلسطين وأرض العرب، لتضع يدها على النفط العربي، وبناء القواعد العسكرية في البلاد العربية لتأمين مصالحها في المنطقة العربية ولاسيما منطقة الخليج العربي، وتتناول المقالة عرضاً للأحداث التي تجري على الساحة العربية والدولية، مما أصاب العرب بخيبة أمل من هذا السلوك الأمريكي المفاجئ في إعلان المشروع الصهيوني (الخارطة الإسرائيلية الجديدة) وتصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي " أعلن انه عرض على الرئيس الأمريكي المبادئ الأساسية التي تضمنها الخريطة الإسرائيلية، ولم يعلن عن حقيقة موقف **فورد** منها، مما يوحي بان المطالب الإسرائيلية، تحظى بمعرفة أمريكا ومواقفها، وكان **رابين** مطمئناً، إلا أن واشنطن لن تتخذ موقفاً لا ينسجم مع موقف إسرائيل"[3]. ورغبة أمريكا في التعاطف والالتزام إزاء الصهيونية والمحافظة عليها حليفاً عسكرياً يحمي مصالحها في الشرق الأوسط[4].

---

(1) حلول كثيرة للمسألة اليهودية ولا حل للمسألة الصهيونية، حوار مع محمود عباس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (68- 69) لسنة 1977: 88.

(2) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (47) لسنة 1975: 28.

(3) مقالة (طريق آخر مسدود) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (47) لسنة 1975: 50.

(4) الشؤون العسكرية الإسرائيلية: تطور التسلح، يزيد صايغ،مجلة شؤون فلسطينية، العدد (182) لسنة 1988: 16.

وهكذا تبرز مقالات محمود درويش تباعاً " لتطور الأحداث والتحولات السياسية الوطنية والقومية"[1]، ولعل مقالة (لا شيء يثير الدهشة) توضح الهجمة الأمريكية على الأرض العربية إذ يقول فيها:

((إن تعثر مسيرة التسوية, الذي يفجع البعض ليس ناشئاً عن تغير الإدارة الإسرائيلية, كما ستعلن واشنطن لزائريها، بأسف، فالإدارة السابقة هي التي خلقت حقائق العدوان طيلة ثلاثين عاماً، وهي التي رفضت التعامل مع الحد الأدنى من شروط السلم العربي: الانسحاب والدولة الفلسطينية، إن وضوح لغة ليكود ستكون انعكاساً واقعياً لوضوح الأمر الواقعي الذي بناه السلاح الإسرائيلي بغباوة العمل على الأرض العربية وسيقال كلام كثير، واقعي وخيالي عن دور الولايات المتحدة في صياغة الانقلاب الإسرائيلي الداخلي وسيكون الانسياق وراء تفاصيل مثل هذه الأسئلة ضياعاً للوقت؛ لأن المسألة الأكثر وضوحاً وجوهرية هي أن التلاحم الأميركي الإسرائيلي هو الذي يحدد حجم إسرائيل في تحولاتها التدريجية من " دولة عادية " إلى " دولة كبرى " ومن حارسة للنفط إلى مانعة صواعق في الشرق الأوسط))[2].

فالآفاق أمام أمريكا أصبحت مفتوحة, آفاق كسب الوقت, والنقط في آن واحد، إذ كشفت حرب تشرين (1973) عن مدى ما قدمت أمريكا من مساعدات للعدو الصهيوني, من تزويده بأحدث الأسلحة، بعد الهدنة ووقف الحرب وانعقاد مؤتمر جنيف[3]. وهذا ما صعدت الرأي أمامه مقالة (إلى أين؟): " بعدما قيل لواشنطن ما قيل وبعدما قال الرئيس الأمريكي المؤمن ما قال انتهت مرحلة من مراحل الانتظار العربي التقليدي، فإلى أين؟ إن كل شيء يحتاج إلى إعادة نظر وإلى انقلاب في الرؤية، وإلى مبادرة عربية حاسمة تجعل الموقف العربي موضوع انتظار الآخرين "[4]. إذن العرب بحاجة إلى أن يصحوا وأن يتكاتفوا لكي يقفوا ضد الإخطبوط الأمريكي صانع الصهيونية إذ " إن ريحاً ربما قد توقفت فجأة، وكأن ضربة من السراب قد أعادت الصحوة إلى السائرين في العراء، ومن دون مقدمات ضرورية، وينقلب انتظار السلام البطيء والحتمي في مواجهة حرب سريعة وحتمية ابرز ما في دلائلها من مفارقات هو أن اليد التي تلوح بها هب اليد الإسرائيلية"[5].

---

(1) ينظر: الصحافة والأدب، حسين جاسم محمد، رسالة ماجستير: 63.
(2) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977: 5.
(3) إستراتيجية التسوية، محمود سويد، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977: 5.
(4) مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977: 4.
(5) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 35 - 36.

أما مقالة (العرب قادمون) ففيها إعلان بأن الرد العربي قادم وأن اليد العربية ستضع الخطوط الحاسمة على خارطة العدوان، فيوجه محمود درويش هذه المقالة إلى العالم ولاسيما أمريكا اللعينة فيقول:

((**انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فإننا قادمون إليك، مشغولون، الآن، ببناء الأيدي، التي تصل إليك، منكبون الآن، على تربية الأقدام التي تحملنا إليك، غارقون، الآن، في عملية تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتنا إليك. انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فنحن الآن نتعلم المشي على الأرض، مرة أخرى، نتعلم المشي، فلا تلعب كثيراً بالكرة الأرضية التي تهتز، وتلعب كثيراً، فعما قليل يصير بوسعنا أن نعيدها إلى التوازن، إذا شئت وعما قليل يصير بوسعنا أن ندفعها إلى الانفجار إذا شئت... انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فان الولادة العسيرة، تملأ المدن ونحن قادمون إليك**))[1].

فالخطاب السياسي في مقالة (عالم لنا) بدأ يختلط بالصيحة والغضب والتحذير أمام من يقف ضدنا ((**إن الولايات المتحدة الأمريكية تعطي الدليل على أن قضية العدوان واحدة، وأن قربى الدم بين الغزاة لا تنفصم، كان بوسع الولايات المتحدة أن تجعل الشعوب أقل عذباً، ولكنها تفعل كل شيء، حتى التضحية بالأمريكيين، من أجل أن تصير الحرية أصغر... هذا العالم ضدنا**))[2]. وفي ضوء هذا النص تتولد قناعة جوهرية لدى محمود درويش إن العالم عالمان، عالم لنا، وعالم ضدنا! " وها هو العالم يعلن هويته: أصدقاء الحرية أصدقاؤنا، وأصدقاء العنصرية أصدقاء أعدائنا، ولعل الصراع العربي ـــ الصهيوني كان محكماً لاختبار المعادن في الغرب"[3] وعندما تكون الحرب سيظهر التحدي الجوهري لجدارة أحد الطرفين... العالم الذي لنا، أو العالم الذي ضدنا. والمقالات التي وجهها محمود درويش إلى العدو الأمريكي كثيرة[4].

2- المقالة النقدية:

ولما كان عالم محمود درويش له وجهان: عالم لنا، وعالم ضدنا، لذلك اتجهت مقالاته نحو " نقد فكرة معينة أو موضوع معين أو اتجاها خاصاً في السياسة

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 35- 36.
(2)المصدر نفسه: 62.
(3)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 64.
(4) ينظر: مقالة (حوار بين مسافرين لقتل السأم المشترك): 137. ومقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام): 89. ضمن مجموعة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام).

والاجتماع والأدب"[1] ليطرح من خلالها كل " ما يهم الكاتب الحقيقي اليوم أن يكتب في مستوى الأسئلة التي ما زالت قائمة في زمنه، أي انه يحاول الاقتراب من قضايا تشكل جوهر الصراع في عصرنا"[2] وهي مقالات تحمل روح الرصاصة في التأثير والفعل، فهي متيقظة صادقة في نقدها لكل الظواهر والموضوعات التي تثار في واقع محمود درويش، وهي مقالات نقدية فيها دعوة صريحة إلى رفض قيم المحتلين، وهي دعوة لكل الأدباء العرب ليأخذوا دورهم في ردع العدوان وتوجيه أقلامهم إلى القيم العربية القديمة التي هي في أغلب الأحيان رمزاً للعروبة والنضال والشجاعة والبطولة.. إذن هي دعوة للثورة على كل زائف، وخائن ومتهاون، ومحتل، ومعتد.

أ- نقد الأدب العربي الفلسطيني

لقد عبرت مقالة (أنقذونا من هذا الحب القاسي) عن وجهة نظر محمود درويش النقدية للحركة الأدبية في الأرض العربية الواسعة، فيها دعوة للإبداع وتحميلهم المسؤولية والاجتهاد الدائم لتحقيق القيم ((**لقد كان من حق حركتنا الأدبية، بما تمثله من صراع ناسها مع واقعهم الخشن، أن تفرح وتعتز بالمكانة الطيبة التي احتلتها في مسيرة الأدب العربي العامة،... ولكننا لن نمل تكرار القول أن طرف الخيط في هذه المسألة هو الاندماج أو الالتحام التام بين الكاتب وواقعه... فعندما كان قسم كبير من إخواننا الكتَّاب خلف حدود بلادنا يعطفون على القضية الفلسطينية ويتضامنون مع ضحاياهم كان القسم الأكبر من كتابنا يعيشها ويذوب فيها، وحين حلَّت نكبة حزيران وشاعت عدوى الإحساس بالمأساة، ثم سقط طرفا حبل كان يلوح على مساحة معينة من الفكر العربي هما: الطبل.. والتمارض العصري، ثم اقتحمت ضرورة مواجهة الحقيقة بشجاعة كل مواطن، وصارت المجابهة والصراع قدراً، وانهارت قيم سياسية وأخلاقية كثيرة.. عندما ارتدى الاهتمام بما يكتب لدينا من شعر وقصة طابعاً جديداً يمتاز بأكثر من حب، أضفى على الكثيرين من النقاد والكتاب ميزات العاشق القديم الذي لا يرى في الحبيبة إلا ما يبرر العبادة**))[3].

بهذه الروحية النقدية يطرح محمود درويش قضية الأدب الملتزم طالما هي حرباً موجهة للأعداء، والدعوة إلى توليد وتواصل يومي مع الصراع التاريخي الذي تحتم على الأرض العربية، ومن ثم الدعوة إلى الصدق في وكل ما يكتب لأن " الصدق ـــ كما نعرف ـــ ينتمي إلى مجموعة الصفات الخلقية الحميدة، ولكنه وإن كان شرطاً من شروط الأدب الإنساني، ليس ضماناً لنجاح العملية الفنية، ولا يمكن أن

---

(1) المقال وتطوره في الأدب العربي: 97.
(2) أضواء عن أدب المستقبل، ندوة ألف باء، العدد (29) لسنة، 1973: 44.
(3) شيء عن الوطن: 25- 27.

يكون، وحده، ومعياراً للنقد الأدبي، وإذا كان من الجائز تسجيل ملاحظة هامشية في مجرى حديثنا عن ميزة الصدق في حركتنا الشعرية، فإننا لا نظلم أحداً إذ لاحظنا أن المبالغة في تقدير شعرنا قد أدت إلى أن يقدم شعرائنا الناشئين بعملية تصميم قصائدهم وفقاً لمقاييس غريبة عن الصدق. وكأنهم يستوحون قصائدهم من تصورهم لكيفية استقبال تلك الإذاعة لها!. وملخص القول انه آن الأوان، لأن توضع حركتنا الشعرية في مكانها الصحيح، بصفتها جزءاً صغيراً من حركة الشعر العربي المعاصر عامة، وذلك يستدعي تخلص الناقد العربي من الخضوع التام لدوافع العطف السياسي وحدها، على أصحاب هذه الحركة، فلا يكفي هذا الشعر انه يكتب في إسرائيل، إن وضع الحركة في مكانها الصحيح هو خير طريقة لنموها وتطورها لارتياد آفاق أوسع خاصة إذا تذكرنا دائماً أنها ما زالت في المراحل الأولى من الطريق الطويل "[1].

وقد دعا محمود درويش الأدب الصهيوني أن يعيد النظر في نظرته العدائية للإنسان العربي وأدبه، كما في مقالة (من المنولوج... إلى الديالوج) التي تشير إلى اللقاء بين الأدباء العرب واليهود التقدميين في حيفا، لتجيب عن السؤال السابق: " هل كان لقاء الأدباء اليهود والعرب في حيفا.. لقاء تفاهم؟.

إن مزاج تلك الساعات الحارة التي قضيناها في المناقشات والمزاج الذي خلقته وجبة الغداء المشتركة فيما بعد، هو الذي يجعلنا نصدق الاسم الذي أطلق على الاجتماع (لقاء تفاهم) ولكننا حين نلاحظ الآن ردود الفعل التي أثارها الاجتماع وانطباعات الأدباء اليهود عنه، والمناقشات الدائرة في الأوساط الأدبية والصحفية، نكشف أن الاجتماع لم يكن (لقاء تفاهم) نكشف انه من السابق لأوانه، على ما يبدو الحديث عن لقاءات التفاهم بين الأدباء اليهود المؤمنين بعدالة الصهيونية وبين الأدباء العرب المؤمنين بأخطار الصهيونية، لا أسجل هنا خيبة أمل أو ندماً ولكني أسجل تحول الانطباع والاعتراف بأن الاحترام على الحوار لا ينبغي أن يجعلنا نحلم بالاتفاق السريع. ومن ناحية أخرى أسجل ارتياحنا الشديد من مجرد الحوار الذي بوسعه أن يزيل لهجة العداء والانطباع السلبي السابق عن العلاقات بين الأديب اليهودي والأديب العربي، وقبل كل شيء بفتح ثغرة في حائط الجهل التام بقضية الأديب العربي في هذه البلاد"[2].

وبهذه الروحية النقدية التحليلية يقرب محمود درويش قضيته الفلسطينية وأهمية الحوار بين الطرفين كما في مقالته (لماذا يجب أن نلتقي) لطرح ما يعمل في نفسيهما من أسئلة ووجهات نظر على الطرفين أن يطلع عليها لكي لا يكون اللقاء

---

(1) شيء عن الوطن: 34- 35.
(2) شيء عن الوطن: 63.

شبيها ببيضة الديك[1].

وتحمل مقالة (بطاقة إلى وزير الدفاع) النقد السياسي الساخر لحكومة العدو اللعينة وهي تتخذ من سياسة الإرهاب والعنف والحصار والسجن دعامة لتثبيت وجودها في أرضنا المحتلة، إذ يقول:((**شاءت الصدفة السيئة يا معالي الوزير أن يصادف العيد الذكرى الخامسة لمصرع الشباب العرب الخمسة الذي سيبقى ندبة أبدية في جسم شعبنا، ووصمة باقية في جسم النظام القائم ما دام باقياً. ولن ينسى احد أن هؤلاء الشباب هم ضحية السياسة التي تنتهجها حكومتهم، ونحن نعرف أن السياسة الرسمية ترمي إلى اقتلاع جذور هذا الجيل من هذه الأرض**))[2].

وينتقد محمود درويش الأدب العربي بشدة بعد هزيمة حزيران، فقد حدثت فيه هزيمة كبرى وانكسار كبير تداعت فيه قيم الإبداع وضرورة الاستمرار والمواصلة على الرغم من الهزيمة العسكرية، فيقول في مقالته (الشهداء يطلبون دمهم إذا ضاع في النفط):

((نعم. فجأة عثر كثيرون من الكتاب على أنفسهم خارج الليل، لقد راهنوا على رصاصة، حين انطلقت فاجأتهم بأنها شكّلت مفترق طرق محيراً، نكتب أم لا نكتب؟ ثم نكتب؟ وماذا نكتب؟ أسئلة تنطوي على ما هو أخطر من بؤس الأدب. كانت القصائد تعاتب القذائف التي تأخرت، وكان الركود تربة خصبة لتسابق شعراء على إهانة الأمة، وحين اندلعت النار أصابت الهزيمة هذه النفسية، وحين خمدت النار ثانية عادت تلك النفسية ذاتها إلى البرهنة على صحة تدهورها، كم من شاعر راهن على عقم روح الأمة، كم من شاعر! وكم من شاعر راهن على اشتباك عسكري.. كم من شاعر! وسنهدر كثيراً من الحبر والورق سدى ونحن نضع الحواجز الفولاذية، بين مرحلة ومرحلة، لانطلاق البارود شعراء، ولسكوت النار شعراء لحزيران شعر، ولتشرين شعر، لماذا يموت أدب بكامله بعد معركة عسكرية واحدة؟ لأنه ليس أدبا، لأنه مخاطبة غرائز إلا التحام بحركة تاريخ وروح أمة وعلاقة بمستقبل، كيف نشهد الآن شبه إجماع على أن أدب ما بعد الهزيمة حزيران قد سقط؟ ألانه تهويمات مزاج... إنه أدب تعليقات على الأخبار، انه ينسخ ولا يخلق، يصور ولا يبدع، يطفو ولا يرسخ، يقوم على ظرف جغرافي لا ظرف تاريخي، يأتي من الذكريات لا من المستقبل، إنه تعبير... تعبير فقط عن ردود فعل آليه، بالتقاطه اللحظة الشعرية يتعامل مع التناقض الحقيقي بسطحية سهلة، ولا يحاول إعادة ترميم الحلم العظيم، يستبدل الحلم بالكابوس، لم يعد للأدب وظيفة، ولكنه صار الوظيفة التي تعجز

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 53.

(2) شيء عن الوطن: 143.

بتعاملها مع الحدث، عن خلق قيمة إنسانية قادرة على البقاء، انه كتابة شيئية))[1]

لهزيمة حزيران الوقع الكبير في نفسية الأدباء والشعب العربي، ولاسيما في نفسية محمود درويش ذاته إذ يقول في مقالة (حزيران: الدماء والدروس) " من الواضح، أن أحد لا يحاول التخفيف من قبضة الذهول، وتفتّح الجراح الجديدة، والجراح القديمة التي تحفر مرتين أو ثلاث مرات، وأنا شخصياً وأنا قابع في السجن، تعطلت أعصابي، وبعد خروجي لم أجرؤ على القيام بمحاولة الكتابة، لأن التشنج والرؤية الغارقة في الدم والحروق لم تتح لي بلورة المدخل الذي سأنفذ منه إلى مثل هذا الموضوع المهلك... ويبدو أن سخونة الوجدان الزائدة عن الحد المعقول تفسد العملية الإبداعية بقدر ما تفسدها برودة العقل الزائدة عن الحد المعقول"[2] وهذا النقد لمحمود درويش هو نقد ساخر وجارح وجاد[3].

ب- نقد الأدب الصهيوني

ويسير محمود درويش على النهج نفسه إذ يصوب سهام النقد إلى الأدب الإسرائيلي ليكشف عن طبيعة هذا الأدب الذي لا يحيد عن نزعته العنصرية والإرهابية فيقول: " أريد القول أن ندائي لم يغير مواقف ولم يخلق مواقف، ربما كان حافزاً لبلورة مواقف وأنا لم أكن ساذجا إلى الحد الذي يصور لي أن يوسع مقالي أن يغير شيئاً ولكنني أردت التعبير عن هواجس وإعلان موقفي "[4] وهذا هو ما تقوم عليه المقالة النقدية، وهي من تطرح رأي وتعلن عن موقف الأديب إزاء القضايا الأدبية.

ومحمود درويش في نقد للأدب الصهيوني يضعه أمام حقيقة جوهرية لا تعنيه وحده؛ وإنما هي تعني كل الأقلام التي تكتب وهي أن " الحرب هناك لا تكتب بالحبر والمزاج، إنها لغة الموت الحقيقية. وهي ليست قصفاً إذاعياً يعقبه نشيد الختام السلبي" [5]. إذن القاسم المشترك بين العرب واليهود لا شيء سوى أنهم بانتظار الموت، والفاصل بين الأدب العربي الفلسطيني والأدب الصهيوني ليس فاصلاً أدبياً ناجماً عن تقدير ملامح مختلفة في أدب كل الجانبين بالطبع، ولكنه فاصل سياسي جوهري ومبدئي للقضاء على الانتماء القومي للعرب في إسرائيل.

ومما يترتب على ذلك ومن أجل أن يزال الحصار الذي وضعته الحكومة

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 125- 126.
(2) شيء عن الوطن: 269- 270.
(3) النقد الأدبي: 16. وينظر: في الأدب وفنونه: 17. مقدمة في النقد الأدبي: 296.
(4) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 24.
(5) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 44.

الإسرائيلية والأدب الصهيوني على الأدب العربي في فلسطين يفتح الأديب نافذة أمامهم كما يقول في مقالة (الحصار): ((**ولقد آن للأدباء اليهود التقدميين أن يفتحوا ثغرة في هذا الحصار، وأن يمسحوا عن وجه حركتنا الأدبية هذه البقع المهينة من الزيف والتشويه، وليرفع الصحفيون الساخرون أيديهم عن قصائدنا، فإنها صرخات شعب أسير.. وحتى ذلك الحين، يبقى السؤال الاتهام معلقاً: ماذا يعرف القارئ العبري عن حركة الأدب العربي هنا؟**))[1].

إن رفض العدوان والإرهاب هو صوت المشترك بينهما كما يقول في مقالة (ولماذا يجب أن نلتقي):((**فالدم العربي والدم اليهودي يُسفكان، والجندي اليهودي يخاطب الجندي العربي بالسلاح. والجندي العربي يرد عليه باللغة ذاتها... إن قوة الكلمة تُمتحن في الأيام العاصفة، ونحن نعيش في بحر من العداء والدماء... فإننا مدعوون إلى عدم الاستسلام لليأس وخيبة الأمل من الجو السائد**))[2].

وعلى الرغم من أن الصدام الدامي مستمر فإن الحديث عن الأدباء والأدب العربي الفلسطيني لا بد أن يزيفه الإعلام الصهيوني وبعض المسؤولين في الكيان الصهيوني، فعلى سبيل المثال فإن مقالة (الحصار) تكشف عن زيف الادعاءات التي تحاول أن تشوه الحقيقة الصادقة للأدب والأدباء الفلسطينيين الذين يقاومون الأعداء كما تقاومهم البنادق، فهذا (موشيه ديان) وهو مصدر مقبول على أوساط واسعة من الرأي العام الصهيوني يقول " لقد أحزنني رد الجمهور اليهودي على لقائي بالشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، قرأت هذا النقد: كيف تقرر أنت يا موشيه ديان، يا وزير الدفاع، الجلوس مع فدوى طوقان، ثم تقترح علينا دعوتها إلى (هيكل الثقافي) في تل أبيب لكي نستمع إلى أشعارها؟ "[3]. ويرد ديان على هذا الانتقاد بالاعتراف الآتي "

---

(1) شيء عن الوطن: 51- 52.
(2)شيء عن الوطن: 54- 55.
(3)المصدر نفسه: 44.

ليست أنا الذي جعل فدوى طوقان شاعرة، ولست أنا الذي استكتبها قصائدها القومية، ولكن بسبب وجود جمهور فلسطيني له شعراؤه، فإني اقترح على الجمهور الإسرائيلي الإصغاء إلى الشعراء الذين يحبهم الجمهور العربي لكي نفهمهم "[1]. فهم يريدون أن يعرفوا لماذا يحب العرب تلك الأشعار، لكي يكونوا على استعداد لمواجهة العرب حتى في مجال الشعر والثقافة والأدب.

ومن زيف ما يقدمه الأدب الصهيوني إلى القارئ العبري، إذ يصف العربي بأنه يعيش بحالة جيدة وفي جنان الخلد، وأن الحديث عن الاحتلال والعنف والإرهاب والإبادة ليس إلا ضرباً من ضروب الدعاية العربية، فيقول درويش في المقالة السابقة نفسها ((**إن جوهر الأدب العربي في إسرائيل هو الرفض والإدانة، وتقديم هذا الأدب إلى القارئ العبري يضع أمامه صورة مغايرة لما ألفه، فقد ألف القول أن العرب في إسرائيل يعيشون فيما يشبه جنان الخلد، وأن الحديث عن اضطهاد وتمييز يتعرضون له ليس إلا ضرباً من ضروب الدعاية العربية المعادية. ولا يريد هؤلاء الخبراء في الاستشراق أيضا أن يعلنوا الرابطة العميقة بين حركة الأدب العربي هنا وبين حركة الأدب العربي المعاصر، لأن هذا الإعلان يؤكد الانتماء القومي للعرب في إسرائيل**))[2].

ويوجه الكاتب محمود درويش دعوة إلى إجراء حوار ولقاء مع الأدباء اليهود لكي

---

(1) المصدر نفسه: 44.
(2) شيء عن الوطن: 47- 48.

يكشف سوء الإعلام الصهيوني، ولكي يتبادلوا خلال ما سيجري في هذا اللقاء من وجهات نظر تبدد كل الغيوم السوداء عن حقيقة الحق الفلسطيني في أرضه، ولصد الدمار الشامل الذي يشنه الكيان الصهيوني على العرب في فلسطين ويستمر درويش في حديثه فيقول:

((**إني لا أطالب هنا بمجرد التعارف واللقاء وإجراء حوار نستمع فيه إلى بعضنا البعض، إن صرخة كاذبة أو صادقة يطلقها أديب مغمور أو معروف في أقصى الأرض تثير ضمائر هؤلاء الأدباء وحساسيتهم المفرطة دفاعاً عن حرية الكلمة، أما أن يوضع شعب كامل في حصار، وان تطمس صرخات أدبائه فتلك مسألة أخرى، وإذا حظيت حركتنا الأدبية بلفتة صحفية عابرة، فان التزييف الرخيص يطغى على هذه اللفتة: يصورون أدباءنا التقدميين بأنهم مجموعة من حملة الشعارات المعادية لليهود، أما الأدب العربي " الحقيقي" في إسرائيل فهو " الأدب الإيجابي"... فهو ذلك الأدب الذي لا ينسى البكاء أمام شباك الحبيبة، وعلى ضوء القمر النعسان**))[1].

يتوصل محمود درويش إلى نتيجة نهائية لموقف الأدباء الصهاينة فيقول في مقالته (من المنولوج إلى الديالوج) " **نحن الكتاب العرب أبناء شعب يعيش في الخيام والمنافي، ونرى إن دائرة سفك الدم المفرغة في منطقتنا ومتطلبات أحلام السلام على المنطقة وعلى أرض الزيتون والدم، نستدعي الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني. وهنا تختلف التصورات والتقديرات وتنطلق المقاطعات من القاعة ومن**

---

(1) المصدر نفسه: 50- 51.

منصة رئاسة الاجتماع. ونكتشف أن اتفاقنا على قضايا جزئية لا يطول، ما دمنا غير قادرين على تلافي بحث القضايا الجوهرية... ومن أهم النتائج التي حققها الاجتماع، من ناحيتنا هو إننا استطعنا أن نكسر جداراً خطيراً من سوء الفهم العدائي والشكوك، وأن تطلع وجوهنا - كما هي وبدون تشويه – حزينة.. ولكنها غير حاقدة، إنسانية.. ولكنها غير مستسلمة، مضطهدة.. ولكنها ليست ذليلة. وجاءتنا وجوه مجموعة غير قليلة من الأدباء اليهود: قلقة، مضطربة، وتتطلع إلى أفق أجمل))[1].

ولعل ما يسمى بـ (شهر التنوير) الذي أقامته دائرة الإرشاد والتنوير الرسمية في دولة اليهود، التي خصصت ثلاثمائة محاضرة لهذا الغرض ويقودهم: نائب رئيس الحكومة ووزير المعارف والثقافة ووزير الشرطة فيقول محمود درويش ذلك في مقالته (ثلاث كلمات على إيقاع واحد): ((**ومن المكتسب التي أحرزتها مبادرة منظمة الكتاب هو أنها استطاعت أن تصدر لنا تصاريح سفر إلى تل أبيب، وكان ذلك فرصة لتندر أحد الكتاب الساخرين فكتب ان الحكم العسكري قد الغي ليوم واحد**))[2].

وفي المجلة التي يكتب بها محمود درويش، أجرى فيها استفتاء للأدباء الصهيونيين حول موضوع (لو كنت أديباً عربياً) وكان الغرض منه التوصل إلى دقائق التفكير اليهودي ووجهة نظره حول العرب والأدب العربي فيقول في مقالته ((**ونحن نجري هذا الاستفتاء بالإضافة إلى رصد الحياة الفكرية الإسرائيلية، لكي**

---

(1) شيء عن الوطن: 66- 75.
(2) المصدر نفسه: 81.

نضع أمام القارئ العربي صورة متواضعة عن أسلوب واتجاه التفكير الإسرائيلي فيما يتعلق بالعرب، ونعترف بأن الردود المنشورة في هذا العدد والتي لا نوافق عليها أبداً لم تصبنا بأية خيبة أمل كما يتصور أصحابها فنحن لم نقصد ابتزاز موقف إنساني، لقد أردنا الحصول على الصورة كما هي بدون رتوش وألوان زاهية، وسيلاحظ القارئ أن بعض الكتاب الصهيونيين لم يتمكن من الوقوف الافتراضي في المكان الذي يقف فيه العربي))[1].

وبهذا النقد الموضوعي الصادق يوصل محمود درويش إلى القارئ حقيقة الأدب الصهيوني.

---

(1) المصدر نفسه: 87- 88.

الفصل الثاني
السمات و الخصائص الفنية للمقالة

- بناء المقالة
- أساليب المقالة
- لغة المقالة

الفصل الثاني
اتجاهات المقالة

مدخل:

بعد دراسة اتجاهات المقالة الذاتية والموضوعية عند محمود درويش لا بد من دراسة السمات والخصائص الفنية لهذه المقالات، ويمكن أن يتم ذلك من خلال ثلاث سمات هي:

1. بناء المقالة.
2. أساليب المقالة.
3. لغة المقالة.

إذ يقوم بناء المقالة على العناصر التي يتم من خلالها تقديم المقالة الفنية الناجحة من حيث:

1. الدقة في اختيار العنوان المناسب للموضوع الذي يقدم.
2. اختيار الاستهلال المناسب ليشكل مقدمة المقالة.
3. حسن الانتقال من الاستهلال إلى الموضوع الأساس ليشكل عرض المقالة.
4. اختيار نهاية المقالة المعبرة عن نتيجة المقالة لتكون بمثابة الخاتمة.

أما أساليب المقالة فهي توضح فنية استخدام الأساليب في بناء المقالة بثلاث أساليب هي:

1. أسلوب الترسل.
2. الأسلوب القصصي.
3. أسلوب التفكه والسخرية.

أما لغة المقالة فهي توضح أسلوب الكاتب وقدرته على تطويع اللغة ضمن نصه المقالي ويمكن دراستها من خلال ثلاث مسائل هي:

1. سمات عامة.
2. الألفاظ والتعابير.
3. مصادر اللغة.

المبحث الأول
بناء المقالة

العنوان:

يشكل العنوان عنصراً أساساً في النص الأدبي ولا سيما النص النثري، إذ إنه يمكن للشعر الاستغناء عنه[1]، فالعنوان هو المفتاح الإجرائي الأول الذي يمكن من خلاله الدخول إلى العالم الداخلي للنص الأدبي لكشف أسراره واستكناه دلالاته وبيان جمالياته، كما يعد العنوان مفتاحاً محركاً لعجلة النص، وله صلة القوية بالكاتب والمتلقي[2].

لقد ازدادت أهمية العنوان من حيث هو نص صغير مع نشأة الشكلية والبنيوية والسيميائية، إذ إن العنوان يؤدي " وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير كثيراً ما يشبهونه بالجسد رأسه هو العنوان "[3] ويمثل العنوان في السيميائية المفتاح الأساسي الذي يتسلح به المحلل للدخول إلى أغوار النص العميقة لاستنطاقها وتأويلها فهو يبين النص على المستويين الدلالي والرمزي[4].

ويعرف ليو. هـ. هوك العنوان بأنه "مجموعة العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده أو تدل على محتواه العام وتغري الجمهور المقصود بقراءته "[5]. ومن هذا التعريف يمكن أن تتضح ثلاث وظائف للعنوان هي:

1- تعيين النص.
2- تحديد المضمون.
3- التأثير في الجمهور[6].

وهناك من الباحثين من حدد وظائف العنوان من خلال الاعتماد على وظائف اللغة التي قال بها رومان ياكوبسون وهي: الانفعالية والإنتباهية والمرجعية والإفهامية

---

(1) ينظر: السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد (25)، العدد(3) لسنة 1997: 98. وينظر: المدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد: 75. الأسلوبية ونظرية النص، د. إبراهيم خليل: 52.

(2) ينظر: المقالة الأدبية في أدب احمد أمين: 155.

(3)شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد (28)، العدد (1) لسنة 1999: 455.

(4)ينظر: السيميوطيقا والعنونة: 96.

(5) نقلاً عن: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق: 456.

(6) ينظر: مفهوم الرواية السيرية، د. عمر محمد الطالب، مجلة صوت، العدد (1) لسنة 1997: 21.

والميتالغوية والشعرية[1].

وبهذا تكون وظائف العنوان ستاً ثم يضيف إليها هنري ميتران الوظيفتين التحريضية والأيديولوجية[2]، ولقد حدد جيرار جينت أربع وظائف للعنوان هي:

1. تحديد هوية النص.
2. الوظيفة الوصفية: هي وصف النص بإحدى خصائصه الموضوعية أو الشكلية.
3. الوظيفة الدلالية الضمنية أو المصاحبة (الإيحائية).
4. الوظيفة الإغرائية[3].

ولا يخرج شارل جريفال عن تلك الوظائف فهو يرى في وظائف العنوان في ثلاثة أمور هي:

1- التحديد.

2- الإيحاء.

3- منح النص أكثر قيمة[4].

أما رولان بارت فيركز على ما يسميه بالوظيفة الاغرائية للعنوان إذ يرى أنه يفتح شهية المتلقي للقراءة[5].

ولأهمية العنوان بوصفه علامة بارزة في تحديد النص أولاً، والكشف عن مجموعة من الدلالات الرمزية المنبثقة عنه ثانياً[6] فقد كان العنوان ولا يزال من المواقع الحساسة التي يقف عندها المؤلفون كثيراً قبل أن يختاروا عناوين نصوصهم الأدبية[7].

ومحمود درويش شأنه شأن كل أديب تشغله مسألة اختيار العنوان. ومن الملاحظ أن عنوانات مقالاته تخضع لطبيعة الموضوع، فهو يراعي ذلك في اختيار للعنوان ولاسيما عنوانات مجموعاته التي ضمت مقالاته:

---

(1) ينظر: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون: 33.

(2) السيميوطيقا والعنونة: 100.

(3) نقلاً عن: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق: 459- 460.

(4) ينظر: تقنيات التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر، سامح الرواشدة، مجلة مؤتة، المجلد (12)، العدد(2) لسنة 1997: 506.

(5) ينظر: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل، رضا بن حميد، مجلة فصول، المجلد (15)، العدد(2) لسنة 1996: 100.

(6) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: 303.

(7) ينظر: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق: 457. وينظر: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار: 39. دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر: 16- 17.

1- شيء عن الوطن.
2- يوميات الحزن العادي.
3- وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام.

جاءت المجموعة الأولى لمحمود درويش بعنوان (شيء عن الوطن) فالمبتدأ (شيء) نكرة للتعبير عن الشيء الصغير ولكن معناه يعني الشيء الكثير، و(عن الوطن) شبه جملة (جار ومجرور) في محل رفع خبر للمبتدأ (شيء) فيكتمل العنوان بأنه ستكون المجموعة عن أشياء كبيرة ترتبط بالوطن عبر عنها بـ (شيء).

وتحتوي هذه المجموعة على ثلاثة أقسام: شمل القسم الأول على إحدى عشرة مقالة. أما القسم الثاني فقد شمل اثنتي عشرة مقالة في حين شمل القسم الثالث على خمس مقالات ليكون مجموع المقالات ثماني وعشرين مقالة. ونلحظ أن العنوان الرئيس جاء عنواناً فرعياً لأول مقالة في المجموعة، وقد جاء العنوان ليوضح المضمون وهو خواطر الكاتب وانفعالاته تجاه الأحداث والمواقف التي حدثت في تلك المدة التي سبقت حرب تشرين (1973).

وتحتوي مجموعته الثانية (يوميات الحزن العادي) على خمس عشرة مقالة من بينها مقالة (يوميات الحزن العادي) فالعنوان يوحي بتلك اليوميات التي يعيشها الشعب الفلسطيني التي يملأها الاحتلال والعنف والاضطهاد وضياع الهوية الفلسطينية والحقوق الإنسانية، فالأيام هي الأيام نفسها التي نعيشها من حيث الزمن.

أما البنية اللغوية للعنوان فهي تعتمد على دال جمع نكرة. وقد منحه دلالة أكثر مما لو عُرف لأنّ دالة (يوم) بالتنكير تدل على مطلق الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله أي أنه اسم جنس جامع لكل الأيام وقد جاء بصيغة الجمع. فقد كانت العرب تمسي الحروب أياماً كتقسيم معركة القادسية إلى أربعة أيام هي: (يوم أرماث، ويوم أغواث، ويوم الهرير، ويوم القادسية)[1] كما ورد ذكر يوم في القرآن الكريم:

ٹ ڈ ڇ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڇ[2]

ٹ ڈ ڇ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڇ[3]

---

(1) ينظر: عنوان القصيد في شعر محمود درويش: دراسة سيميائية، جاسم محمد جاسم، رسالة ماجستير: 98.

(2) سورة الروم: الآية:55.

(3) سورة الشعراء: الآية:88.

ٹ ڈ چ ی ی ی □ □ □ □ □ چ[1]

ٹ ڈ چ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ى ى چ[2]

ويلاحظ في الآيات الكريمة السابقة أن القرآن الكريم يشدد على تنكير دال (يوم) مخصصا إياه بيوم القيامة التي توحي بالتهويل والترهيب.

أما معنى الأيام فيأتي من خلال المضاف إليها وهو الحزن الذي جاء معرفاً، لأنه أصبح حالة معرفة لدى كل فلسطيني إذ إن يوميات الفلسطيني متجددة بالحزن ففي كل يوم ومع إشراقة الشمس على أرض فلسطين يتجدد الحزن من الظلم الصهيوني أولاً ومن الواقع العربي المشتت ثانياً، فالأحزان بالنسبة للفلسطيني أصبحت عادية، ومن هنا جاءت تسمية تلك المجموعة بـ (يوميات الحزن العادي).

تحمل المجموعة الثالثة عنوان (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام) الذي ابتدأ بالمفعول المطلق (وداعاً) لفعل محذوف تقديره (أودع). أما أيتها الحرب (نداء) في حين جاءت لفظتا (الحرب، السلام) معرفتين لأن الأولى باتت معروفة لدى كل فلسطيني على نطاق الواقع أما الثانية فمعرفة على نطاق الأماني والأحلام.

تحتوي المجموعة الثالثة على ثلاثة أقسام: جاء القسم الأول بعنوان (حصان يحب غزالة) ويحتوي على ثلاث مقالات، أما القسم الثاني فقد جاء بعنوان (صباح الخير أيها الفرح) ويحتوي على إحدى عشرة مقالة في حين جاء القسم الثالث بعنوان (ماذا فعلت بالخريف يا سرحان) الذي يحتوي على إحدى عشرة مقالة ومن بينها مقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام).

ومن الملاحظ أن تلك المقالات كتبت في مراحل الانتظار والانفجار بعد حرب تشرين (1973) ويوحي العنوان بان الوضع القائم في فلسطين مشتت فلا حرب من أجل تحرير الأرض وتحرير الذوات الفلسطينية من ظلم الأعداء اليهود، ولا سلام يحفظ للفلسطينيين حقوقهم في العيش بسلام في أرضهم.

ومن استعراض عنوانات مقالات محمود درويش ومدى ترابطها بالموضوع يتبين ما يأتي:

1. يقوم العنوان في المجاميع الثلاث بدور الرئيس، وتأتي عناوين المقالات لتشكل عناوين ثانوية التي تتفرع بدورها إلى عناوين ثانوية أخرى بما يمكن أن يسمى بـــ (التشجيرة العنوانية)[3]، ومن ذلك مقالة (ثلاث كلمات على

---

(1) سورة الرحمن: الآية:39.

(2)سورة ق: الآية:30.

(3) ينظر: عنوان القصيد في شعر محمود درويش: 46.

إيقاع واحد) ضمن المجموعة الأولى (شيء عن الوطن) إذ قسمت المقالة إلى ثلاث كلمات هي: (الكلمة الأولى) و(الكلمة الثانية) و(الكلمة الثالثة).

ومن ذلك أيضاً مقالة (ثلاث بطاقات من حيفا)التي تقسم إلى ثلاث عنوانات ثانوية هي: (مقهى صغير على الشاطئ) و(الزنزانة) و(الشارع لي) بحيث يصبح كل عنوان مقالة لوحدها تشكل موضوعاً آخر يختلف عن الموضوع الآخر.

ففي مقالة (مقهى صغير على الشاطئ) يتأمل الكاتب الشاطئ وينتقي ذكرياته إذ يقول:((**وأنا في المقهى انتقي ذكرياتي كما أشاء. إنها تجلس أمامي مثل عنقود العنب أختارها حبة حبة، والقي بالفاسد منها عبر النافذة المفتوحة**))[1].

أما العنوان الثاني (الزنزانة) فيختلف عن العنوان الأول إذ إن المكان مغلق معادي ولكنه مفتوح وتشكل المقالة حواراً ذاتياً يقدمه الكاتب بينه وبين السجان، فالسجان قد وضع في تقديره أن السجن معادل لموت الفكر والأدب الإنساني والوطني والقومي عند من يدخله. ومن خلال المحاورة بين السجين (الكاتب) والسجان تظهر خيبة أمل السجان في تحقيق غايته:

((**حدث هذا.. يحدث هذا أحياناً.. يحدث هذا الآن: أن تركب حصاناً في زنزانة وتسافر. يحدث أن: تسقط جداران الزنزانة، وتصير آفاقا لا حدود لها:**

- **ماذا فعلت بالحائط؟.**
- **أعدته إلى صخور.**
- **ماذا فعلت بالسقف؟**
- **حولته إلى سرج.**
- **ماذا فعلت بالقيد؟**
- **حولته إلى قلم.**

غضب السجان، وضع حداً للمناقشة. قال إنه لا يحب الشعر، ثم أغلق باب الزنزانة))[2].

وتأتي الشجيرة الثالثة (الشارع لي) لتكشف عن وضعية الشعب الفلسطيني في أرضه إذ يقتل في كل يوم من دون حرب، ويدعو الكاتب أمته لكي تنهض وتعيد أمجادها فيقول:

((**ليست الحرب نزهة ولا احتفالاً، ولكننا كنا نُقتل بلا حرب، ومن قلة الحرب. لم تبتهج أم بولادة طفل، كما تحتفل الأرض الآن بميلاد الأمة عشرات السنين**

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 74.
(2) المصدر نفسه: 75.

المكبوتة تستيقظ الآن من الحرمان..))[1].

2. يضع الكاتب الموضوع في اعتباره عند اختيار العنوان بإخضاع الاختيار للموضوع وغايته من تناوله ولاسيما في مقالاته الذاتية التي تتناول شيئاً من حياته الخاصة فانه يعمد إلى العنوانات الدالة مباشرة على علاقة الموضوع به من مثل: (هكذا أعيش وأناضل في إسرائيل)[2] و(حياتي وقضيتي وشعري)[3] و(القمر لم يسقط في البئر)[4] و(يوميات الحزن العادي)[5]و(محاولة رثاء بركان)[6] و(أكثر من كلمات)[7] و(أنيس صايغ إلى اللقاء)[8].

وإذ كانت مقالات محمود درويش ذات موضوعات سياسية انتقاديه ينتقد فيها السياسة الإسرائيلية والأمريكية، فإنه يختار لها عنوانات تحمل دلالات انتقاديه من مثل: (إعلان حرب)[9] و(إلى أين)[10] و(أمريكا هناك أمريكا هنا)[11] و (تلك الحرب. هذه الحرب)[12] و(الجنود كانوا أطفالاً)[13]. ويلاحظ من هذه العنوانات أنها ترتبط ارتباطاً مباشراً وواضحاً بالموضوع وتهيئ الذهن لاستقباله.

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 76.
(2) ينظر: شيء عن الوطن: 211- 239.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 239- 287.
(4) ينظر: يوميات الحزن العادي: 29- 48.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 71- 104.
(6) ينظر: وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 17- 24.
(7) ينظر: المصدر نفسه: 25- 32.
(8) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (66) لسنة 1977: 2.
(9) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (74- 75) لسنة 1978: 2.
(10) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1978: 4- 5.
(11) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (92- 93) لسنة 1979: 5- 6.
(12) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (38) لسنة 1974: 4- 5.
(13) ينظر: شيء عن الوطن: 123- 138.

وجاءت المقالات الأدبية والنقدية مستقاة من جوهر الموضوع النقدي، ومثال ذلك:
(هذا الاهتمام يهمنا)[1] و(أنقذونا من هذا الحب القاسي)[2] و(لقاء طشقند)[3] و(لماذا يجب أن نلتقي)[4] و(مقابلة أدبية)[5] و(لمن تقرع الأجراس)[6] و(الكتابة في درجة الغليان)[7].

جاءت البنية التركيبية على التقاء حر غير مقيد بشكل أو تركيب أو قاعدة نحوية تفرض على الكاتب شكلاً، ومن ثم فإن جميع الإمكانيات التي تقدمها اللغة قابلة للانبناء عنواناً من دون أية قيود؛ لذلك يبنى العنوان على هيئة حرف أو كلمة أو شبه جملة أو جملة تامة، وقد يكون أكثر من جملة[8] وذلك يعني أن لا شيء يحصر طول العنوان من الناحية النظرية[9].

يمكن تحديد سمات البنية اللغوية لمقالات محمود درويش بما يأتي:

1- مما يثير الاهتمام استخدامه لأدوات الاستفهام في تشكيل العنوان لإثارة المتلقي للتواصل والبحث عنا يثير التساؤل؟ وعلى ذلك جاءت العنوانات الآتية:

---

(1)ينظر: شيء عن الوطن: 17- 24.
(2)ينظر: المصدر نفسه: 25- 35.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 36- 42.
(4)ينظر: المصدر نفسه: 53- 61.
(5)ينظر: المصدر نفسه: 315- 349.
(6)ينظر: المصدر نفسه: 157- 160.
(7)ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (53) لسنة 1974: 33- 41.
(8) شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق: 458.
(9) السيميوطيقا والعنونة: 106.

(هل تكون المرأة نصف حبلى؟)[1] و(لمن تقرع الأجراس؟)[2] و(لماذا يجب أن نلتقي؟)[3] و(كيف أضعت الخريف؟)[4] و(إلى أين؟)[5].

2- نادراً ما تقتصر العناوين على لفظ أو لفظين ومثال ذلك: (الحصار)[6] و(يا احمد)[7] و(المحطة)[8] و(انتفاضة)[9] و(في الجنوب)[10] و(إلى أين)[11] و(الملف المفتوح)[12].

3- الغالب على عناوين تلك المقالات الإطالة في العنوان على شكل جمل أسمية: (القمر لم يسقط في البئر)[13] و(حالة انتظار)[14] و(غريب عن العالم. ذهب إلى العالم)[15] و(الفرح عندما يخون)[16] و(من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً)[17] و(يا احمد)[18] و(دفاع عن الشجر)[19] و (الجبنة الصفراء)[20] و (رسالة إلى زنجي)[21] و(العرب قادمون)[22] و(أزرق..أزرق)[23]

---

(1) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (15) لسنة 1972: 244- 250.
(2) ينظر: شيء عن الوطن: 157- 160.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 36- 42.
(4) ينظر: وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 84- 89.
(5)ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977: 4- 5.
(6) ينظر: شيء عن الوطن: 43.
(7)ينظر: المصدر نفسه: 105.
(8)ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (39) لسنة 1974: 4.
(9) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (56) لسنة 1976: 5.
(10)ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (77) لسنة 1978: 6.
(11)ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977: 4.
(12) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (78) لسنة 1978: 4.
(13) ينظر: يوميات الحزن العادي: 27- 48.
(14)ينظر: المصدر نفسه: 7- 62.
(15) ينظر: المصدر نفسه: 169- 178.
(16) ينظر: المصدر نفسه: 129- 152.
(17) ينظر: المصدر نفسه: 105- 128.
(18) ينظر: شيء عن الوطن: 105.
(19) ينظر: المصدر نفسه: 90- 94.
(20) ينظر: المصدر نفسه: 200- 201.
(21) ينظر: المصدر نفسه: 161- 166.
(22) ينظر: وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 35- 37.
(23) ينظر: المصدر نفسه: 43- 45.

و(الحقيبة والمفتاح)[1].

4- نادراً ما يكون العنوان على شكل جملة فعلية: (نحترق من ناحية البحر وننمو من ناحية الأطفال)[2](أنقذونا من هذا الحب القاسي)[3].

المقدمة (الاستهلال):

الاستهلال جزء مهم من أجزاء النص النثري يقصد به " بدء الكلام، ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على الناي: الاستفتاحية، فتلك كلها بدايات تفتح السبيل إلى ما يتلو"[4] فالاستهلال إذن بدء النص وافتتاحه، وهو أول ما يقع في السمع من الكلام[5]. وعلى الكاتب الاعتناء بالاستهلال وتحسينه شأنه شأن الشاعر لأهميته ودوره في جلب انتباه القارئ وشده إلى الموضوع [6] ولأن وظيفته الجوهرية هي أن يبين ما هي الغاية أو الغرض من النص الأدبي[7].

يعد الاستهلال سمة مهمة من سمات النص الأدبي ولاسيما في القصيدة العربية إذ سميت بعض القصائد العربية التي لم تعنون باسم البيت الأول منها إي أن الاستهلال أصبح عنوانا للقصيدة كما في قصيدة (قفا نبك) لأمرئ القيس[8] وعلى ذلك فالاستهلال هو وسيلة الاتصال الأولى بالسامعين التي تهيئ نفوسهم وتعدهم لاستقبال الموضوع، فعلى قدر نجاح الكاتب في افتتاح الموضوع يكون نجاحه بالنسبة للاستقبال لدى المتلقي.

ولاستهلال المقالة أهمية خاصة من وجهة نظر الكاتب والقارئ، إذ إن القارئ ـــ هو المقصود في كل عمل أدبي ـــ لن يقبل على قراءة المقالة بلذة وفهم إلا إذا طالعته بادئ ذي بدء بصورة جذابة مشوقة تتسم بأسلوب طبيعي سلس، وهو أسلوب المسامرة والحديث العادي، وبفكرة طريفة متآلفة تسترعي عناية وتجتذبه إليها بقوة وإغراء[9]. ويمكن أن يكون مدخل الاستهلال في المقالة ـــ جملة أو جملتين ـــ يؤلفها

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 59- 61.
(2) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (36) لسنة 1974: 15.
(3) ينظر: شيء عن الوطن: 25.
(4) فن الخطابة، أرسطو، ترجمة: عبد الرحمن بدوي: 235.
(5) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: 494. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبن الأثير، تحقيق: احمد محمد الحوفي وبدوي طبانة: 3/ 98.
(6) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير: 22.
(7) المصدر نفسه: 38.
(8) عنوان القصيدة في شعر محمود درويش: 32.
(9) فن المقالة: 126.

الكاتب وهو تحت عبء الأفكار والصور التي تختزنها ذاكرته الفنية والاجتماعية والثقافية[1].

جعل محمود درويش الدفاع عن الوطن مرادفاً للدفاع عن الشجر إذ جعل الوطن مرادفا للشجر الذي يشكل في مقالاته منعطفا آخر في سبيل تكوين نصه الثوري فضلاً عن أن التشبيه بين الشجر والإنسان في التحليل العلامي يؤشر علاقة طبيعية بين كل الكائنات الحية من حيث أن كل منها يمر بمجموعة من التحولات فالشجر تمثل الخضرة والاستقرار والثبات والارتفاع والقوة والتماسك، وكذلك يشترك الإنسان معها.

ففي مقالة (دفاع عن الشجر) جاءت المقدمة ملائمة للعنوان بحيث أن كليهما يهيئ القارئ للدخول إلى غاية النص الأدبي إذ يقول:((**ما جئت لكي أعد فضائل الشجر لأنها اكبر من أن تحصى، وأجمل من أن تمجد، وأشهر من أن تقدم!**))[2].

ومن خلال استقراء مقالات محمود درويش نرى أن البنية اللغوية للاستهلال تقوم على الجملة الاسمية أو الفعلية. ومن الملاحظ أن الغالب في استعماله الجمل الفعلية أو الصيغ المشتقة (اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغة المبالغة...) إذ تعطي النص حرية التوسع والإحالة والحركة لأن الأفعال بطبيعتها مولدة خلاقة متحركة على العكس من الاسم الجامد الذي يتحدد بالمسمى ويحتاج إلى فعل يحركه ففي مقالة (دم.. دم.. دم) وردت الجملة الأولى على الشكل الآتي:

((**قرأت، بكثير من التأثر، رواية تعتبر بعض الأوساط الثقافية في العالم عدم قراءتها، حتى الآن، وهناً في مواكبة روح العصر..**))[3] ويلاحظ في اتصال الفعل بضمير المتكلم (الكاتب) إضفاء الفاعلية الذاتية على جو النص.

جاءت المقدمة في مقالة (أزرق.. أزرق) على الشكل الآتي: ((**رأيت مياها كثيرة في حياتي، ولكنني لم أر ماء في مثل هذه الزرقة الداكنة**))[4].

ويأتي الاستهلال في مقالة (الكتابة في درجة الغليان) على النحو الآتي: ((**جئت أروي قصتي لأوسع دائرة العلاقة**))[5].

وفي مقالة (الزنزانة) وردت الجملة الأولى على الشكل الآتي:؟((**يحدث هذا..**

---

(1) المقالة الأدبية في أدب احمد أمين: 159.
(2) شيء عن الوطن: 90.
(3) المصدر نفسه: 183.
(4) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 43.
(5) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (35) لسنة 1974: 33.

يحدث هذا أحيانا.. يحدث هذا الآن.. أن تركب حصانا في زنزانة وتسافر..))[1].

وفي مقالة (نار على جبل!) وردت الجملة الأولى على الشكل الآتي: ((**نادانا جرح في يركا.. والجرح هناك يستحيل إخفاؤه لأنه نار على رأس الجبل..))**[2]. وهنا اتصل الفعل بضمير دال على الجماعة لتوسع إمكانية الكاتب على توليد صور وحركات داخل فكرة الموضوع كما أن (نا) المتكلمين تدل على المشاركة في الأحداث.

وفي مقالة (شيء عن.. أمنون لين !) كان استلالها بالشكل الآتي: ((**شئنا، أم لم نشأ، فإن السيد امنون يجمع المجد من أطرافه..))**[3]. وفي مقالة (لمن تقرع الأجراس؟) وردت الجملة الأولى من الاستهلال على وفق الآتي: ((**يروقني أن أعلن إعجابي العميق بشعار الغضب الساطع الذي عم أمريكا..))**[4] وياء المتكلم المتصلة بالفعل تدل على المشاركة الوجدانية للكاتب في الأحداث التي تجري لرفع قوة التأثير والإثارة لدى المتلقي.

وهكذا فإن أغلب مقدمات مقالاته ابتدأت بجملة فعلية حتى تلك المقدمات التي تبتدئ باسم أو شبه جملة فإن الجملة الفعلية التي تليها هي التي تخبر عنها أو تفسرها لإضفاء الحيوية والحركة للمقدمة، ومن ذلك ما جاء في مقالة (الملف المفتوح):

((**الملف. الملف يفتحون ولا يفتحون ولا حديث إلا حديث الملف الذي فتح ولا يفتح))**[5] وفي مقالة (ذاهب إلى العالم. غريب عن العالم) جاء: ((**في ساعة متأخرة من الليل يذهب العالم إلى غرفة النوم))**[6]. وفي مقالة (إلى أين) تبدأ المقدمة بالآتي: ((**إلى أين. بعدما قيل لواشنطن ما قيل..))**[7].

العرض (حسن التخلص)

يقصد به كيفية الانتقال من معنى لآخر كالانتقال من المقدمة إلى الموضوع ومنه إلى الخاتمة من دون قطع وحسن التخلص من المصطلحات القديمة التي شغلت البلاغيين العرب فيقول ابن الأثير: " أما التخلص فهو أن يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبين هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه،

---

(1) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 75.
(2) شيء عن الوطن: 115.
(3) شيء عن الوطن: 131.
(4) شيء عن الوطن: 151.
(5) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (78) لسنة 1978: 4.
(6) يوميات الحزن العادي: 171.
(7) مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977: 4.

فيكون بعضه آخذ برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ إفراغاً"[1].

ويعرف تصميم المقالة بأنه " ذلك التصوير البنائي للموضوع الذي يرهص بالنهاية منذ البداية ولا يرفع عينه عنها، وهو في أي جزء من الأجزاء يلفت إلى الأجزاء الأخرى إلى أن تكشف العبارة الأخيرة عن كنه العبارة الأولى وتبرز وجودها دون أن تحس بأي فتور"[2].

وهكذا فإن الكاتب يبدأ بعرض موضوع مقالته بعد أن مهد له بالاستهلال وبعد أن يطمأن الكاتب على كسبه اهتمام قارئه يأخذ في عرض تجربته معبرا عن أثرها في نفسه وحسه تعبيراً يميل إلى المسامرة المحببة التي تعتمد في معظم أحوالها على ما يذكره الكاتب من مواقف طريفة أو سخرية أو خفيف في تدفق وعفوية تحقق الألفة والمشاركة الوجدانية[3].

وإذا أمعنا النظر في مقالات درويش نجد البراعة في التخلص والانتقال إحدى السمات الفنية التي تميزت بها، فقد أحسن الانتقال من الاستهلال إلى الموضوع بدقة متناهية وصورة فنية رائعة فكان خروجه وتدرجه في الانتقال من كلام لآخر من دون قطع بحيث لا يشعر القارئ أو السامع بذلك.

ففي مقالة (نحن نقاتل.. وهم يقامرون) بعد أن قدم محمود درويش للفكرة الرئيسة (الحرب) مقدمة قصيرة إلى حد ما تعرض فيها لهزيمة العدو (الصهيوني) إذ يقول: ((**أن تطول الحرب.. أن تطول ـ معناه ـ إننا قادرون على هزيمة العدو، بعدما هزمنا الهزيمة في نفوسنا منذ اللحظة التي احتكمنا فيها إلى النار.. النار هي القرار الوحيد الذي يؤدي تنفيذه إلى استرجاع شرفنا الإنساني من مهانة ربع قرن.. النار هي المحكمة الوحيدة الجديرة بأن تشرع العدالة بيننا وبين مثل هذا الطراز من الأعداء**))[4].

فالكاتب قد أحسن الانتقال من الاستهلال إلى موضوعه بعبارة (احتكمنا فيها إلى النار) فهذه العبارة نوحي بأن الكلام الذي يأتي بعدها هو الموضوع الأساس للمقالة.

ومحمود درويش قد مهد إلى قرار القتال والجهاد في سبيل تحرير الوطن؛ لأنه يدرك بأن العدو سوف يهزم بعد أن استطاع العرب توحيد أنفسهم بالإرادة

---

(1) المثل السائر: 3/ 21.
(2) فن المقالة: 120.
(3) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 75.
(4)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 53.

والعزيمة المادية والمعنوية.

وهذه المقالة أخرى يخلص فيها الكاتب إلى موضوع ببراعة من دون قطع الكلام إذ يقول: ((**تحيط خاصرتها بالألغام وتنفجر. ولا هو موت ولا هو انتحار. إنه أسلوب غزة في إعلان جدارتها بالحياة**))[1]، فبراعة التخلص واضحة بخروج الكاتب من الاستهلال إلى موضوعه الأساس بعبارة (أنه أسلوب غزة) إذ إنها تدل على تهيؤ الكاتب لعرض موضوعه.

وبعد ذلك التخلص يعرض الكاتب موضوعه وهو (صمود غزة بوجه الأعداء) فالأبطال في غزة يقاومون الأعداء منذ وقت طويل فاجئوا العدو الصهيوني بهذا الصمود والمقاومة:

((**منذ أربع سنوات، ولحم غزة يتطاير شظايا قذائف، لا هو سحر، ولا هو أعجوبة. إنه سلاح غزة في الدفاع عن بقائها. وفي استنزاف العدو**))[2].

لا تقل المقالات التي تميزت بأسلوبها الساخر للموضوع أهمية عن المقالات الجدية من حيث حسن التخلص والعرض ففي مقالة (الطبل.. الزمر.. والحكم العسكري) جاءت المقدمة بالشكل الآتي: ((**لست من هواه جمع الطوابع أو التواقيع أو الصور أو علب الكبريت الفارغة، أو خصلات شعر النساء.. ولكنني أريد هواية جديدة لم يسبقني إليها أحد.. وأخيراً وجدتها: سأجمع طرائف الحكم العسكري في بلادنا.**))[3].

نلاحظ أن الكاتب أحسن الانتقال إلى غرضه عندما قال: (سأجمع طرائف الحكم العسكري) التي تشير إلى أن ما يليها سيكون موضوع المقالة. ومن الواضح أن خروج الكاتب وانتقاله من معنى لآخر في المقالة كان متدرجاً مترابطاً آخذ بعضه برقاب بعض من دون قطع في الكلام.

الخاتمة

هي آخر النص النثري لا نهايته. وهي النتيجة التي يصل إليها الناثر فيجعلها ملخصاً لموضوعه أو محاولة لاجتذاب عواطف السامعين وفكرهم إلى رأيه[4].

وقد تحتاج المقالة إلى مقدمة وقد لا تحتاجها، ولكن لا بد لها من نتيجة أو

---

(1) يوميات الحزن العادي: 163.
(2) المصدر نفسه: 163.
(3) شيء عن الوطن: 144.
(4) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: 85. وينظر: من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 139.

خاتمة[1] وعلى ذلك يرى محمد يوسف نجم أن الخاتمة هي " ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت، فلا بد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض واضحة صريحة، ملخصة للعناصر الرئيسة المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع وتعيين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة"[2].

ولابد لكاتب المقالة أن يعتني بخاتمة نصه عناية لا تقل عن اهتمامه بالاستهلال بحيث تأتي على نسق واحد فضلاً عن ترابط أجزاء المقالة بحيث تصبح نصاً متسلسلاً منذ البدء حتى النهاية.

ومن خلال استقراء مقالات محمود درويش نجد أن الخاتمة كالاستهلال اتسمت بالتنوع والاختلاف على وفق ما يقتضيه المقام، ففي مقالة (الجبنة الصفراء.. والوطن) يلاحظ أن الكاتب يحافظ على الترتيب بين العناصر البنائية من المقدمة التي يستهلها بقوله:

((جدي في مثل هذا الشهر، يعيش على أعصابه. يكف عن الكلام، ويكثر من الإصغاء للمذياع، ومن التدخين. كان ينتظر كلمة من هيئة الأمم المتحدة... كان ينتظر وعداً صادقاً يأخذه إلى أنقاض بيته القديم..))[3].

وقد تعرضت المقالة إلى شيء من حياة جده في لبنان عندما كان وأسرته لاجئين في بداية الاحتلال عام (1948م) أما العرض فيبدأ بقوله:

((كان يأخذنا لنقف معه في طابور الشحاذين: كل واحد يحمل سلة صغيرة، وعيناه على الأرض، واقفاً في الدور حتى يقترب من موزع الفتات ويعطيه قطعة من الجبن الأصفر.. وحبات من التمر.. وحفنات من الطحين. وكان ذلك أول عهدي بالجبن الأصفر..))[4].

ويخلص الكاتب بأسلوب جميل وتدريجي إلى فكرة التي يريدها أن يعرضها وهي حب الوطن، فالوطن باق لا يموت حتى في قلوب الأطفال الذين تربوا على الجبنة الصفراء، وذاقوا طعم اللجوء وقسوة الحياة. فالفلسطيني يعيش قضيته يومياً وهو مرتبط بالوطن أشد الارتباط. وبذلك خاب أمل وكالة الغوث التي كانت تتوقع أن هذا الجيل سوف يخضع للسلام، لأنه جائع وعريان ولا يملك شيئاً ليتعلق بوطنه:

((تقرير وكالة الغوث.. وكالة الصدقات.. وأجراس الذل والعار، الذي تبحثه الأمم المتحدة هذه الأيام، يشير التقرير، بلغة رسمية، إلى ازدياد عدد اللاجئين المضطرد.. وإلى ازدياد حاجتهم إلى الطحين والجبن الأصفر والخيام، واهم من ذلك

---

(1) في الأدب الحديث، عمر الدسوقي: 1/ 393. وينظر: النثر العربي في نماذجه وتطوره: 93.
(2) فن المقالة: 131.
(3) شيء عن الوطن: 200.
(4) المصدر نفسه: 201.

ازدياد تعلقهم بوطنهم الذي ابعدوا عنه ظلماً.. وإلى ازدياد تمسكهم بحقهم في العودة..))[1].

وينهي الكاتب مقالته بعبارة قوية الدلائل والتأثير ونتيجة متوقعة لما قبلها لتمثل الصمود الفلسطيني من أجل الوطن فيقول:

((كل خطوة في طريق الغربة.. وكل نسمة... وكل لسعة برد في ليالي الغربة تصنع الحب الأسطوري للوطن الأسطوري: فلسطين التي لم ينساها. لا، لن ينساها، لأنها الحياة والموت معاً))[2].

ونظير حسن الخاتمة هذا ما تمثله مقالة (الحقيبة والمفتاح) إذ يعرض الكاتب صورة من صور انهيار المجتمع الصهيوني بعد أن أصبحت الهجرة عكسية من إسرائيل إلى البلدان الأخرى وتبدأ المقالة بالشكل الآتي:

((ليتني سمعت نصيحة زوجتي، وسافرنا إلى السويد، هكذا قال طيار إسرائيلي أسير في دمشق))[3].

ثم يعرض الكاتب الموضوع ويناقش مسألة الحقيبة والمفتاح، فالمهاجرون العرب يعودون إلى ارض الوطن وهم الآن يجلسون على الحقائب في حين أن المهاجرين اليهود يفكرون ويعيدون النظر بمصير مهتز وبوعود كاذبة قدمتها لهم القيادة الصهيونية لإنشاء وطن قومي لليهود. وهكذا فإن حرب الحقائب والمفاتيح تدور الآن في فلسطين وبناء على تلك المقدمة وذلك العرض جاءت الخاتمة لتوضح النهاية لتلك الأحداث فيقول درويش:

((انه يجب أن تنصب لافتة في مطار اللد، تحمل الرجاء التالي: يُرجى من المسافر الأخير ألا ينسى إطفاء النور في المطار))[4].

ولمحمود درويش نوع آخر من الطريقة الفنية في كتابة الخاتمة لغرض جذب انتباه المتلقي وجعله يشارك الكاتب في عرض المقالة من بدايتها حتى نهايتها وذلك ما نراه في مقالة (الخروج الثاني من سيناء) إذ نلاحظ أن الكاتب يبدأ المقالة بصيغة فعل الأمر فيقول: **((أذهب إلى الحرب.. تصل إلى الولادة..))**[5].

ثم يبدأ بعرض الأحداث التي تدور حول الحرب والولادة، فالحرب تعني إلغاء المعاهدات وإلغاء الهدنة وتعني الانتماء إلى العالم والحرية والصمود والتحرير:

---

(1) المصدر نفسه: 204.
(2)المصدر نفسه: 207.
(3) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 59.
(4) المصدر نفسه: 61.
(5) المصدر نفسه: 38.

((**نقف اليوم لإلغاء الهدنة التي عقدناها مع ريح الصدفة. تنتمي إلى العالم حين نخالفه. تنتمي إلى حياتنا حين نهددها. ننتمي إلى الوطن حين نستبدل صلواتنا بالقذائف.. ننفجر.. ننفجر، ونفجر.. هكذا تكون الأعياد**))[1].

وفي المقابل يعاني الصهيوني من هزيمة معنوية ومادية في آن واحد حين انكشفت أهداف الصهيونية في (أرض الميعاد) و(أرض السمن والعسل) وانكشف المشروع الصهيوني، وأصبحت العلاقة بين السلطة الصهيونية والمواطن سيئة جداً. أما العرب فقد انتصروا في معارك سيناء حين أجبرت القوات الصهيونية على الانسحاب بفضل الإرادة العربية في تحرير البلاد وهكذا فإن الولادة بالحرب والانتصار وعلى ذلك جاءت الخاتمة بالشكل الآتي: ((**نحن نذهب إلى الحرب فنصل إلى الولادة**))[2].

وقد نتخذ المقالة عند محمود درويش شكلاً آخر في تلخيص الموضوع وتأكيده ففي مقالة (بطاقة إلى دمشق) جاءت الخاتمة تكراراً للمقدمة فيقول:

((**ساعي البريد ينتظر**
والفراشة تحارب
ولا تنتهي رسالتي يا دمشق))[3].

وتأتي أهمية الخاتمة في تأكيد المقدمة لدى الكاتب عند التركيز على الحس القومي فهو يرسل كل المحبة والتقدير والسلامة إلى ارض دمشق العربية.

ونظير تلك الخاتمة جاءت مقالة (بيت مسكون بالأشباح) التي استلهمها بقوله: ((**حدث شيء كثير، وعادوا إلى طقوس البكاء القديم. هل تغيروا؟ ولم ينس محدثي المثقل بالأمل المتجدد أن يبدي اعتزازه بتفاصيل الذكريات. نفض الغبار عن الشريان الممتد إلى يافا. وقال: تعال إلى الشرفة لتطل على رائحة البرتقال القادم من هناك. لقد اشتعل الربيع في فلسطين. ومد يده ليقلد قامة العشب الذي رآه في الأسبوع الماضي في فلسطين الحزينة كما هي.. كما هي.. بساط أخضر يطلع من السر فجأة ويتفجر برقوقا وكل الألوان**))[4].

وبعد هذا الاستهلال يعرض الكاتب لموضوعه الذي يصور مشاعر الفلسطيني تجاه الوطن ومن ثم تجاه البيت الذي يسكنه قبل العدوان، ويعرض هذا الصديق لحوار طويل دار بينه وبين أصحاب الدار الجدد (اليهود).

---

(1) المصدر نفسه: 39.
(2) المصدر نفسه: 40.
(3) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 46.
(4) المصدر نفسه: 106.

وبعد العرض تأتي الخاتمة لتؤكد حب الوطن والتضحية على إعادة الأرض المغتصبة فيقول: ((**قال محدثي: تعال إلى الشرفة لتطل على رائحة البرتقال القادمة من هناك ما زالت الأرض كما هي: بساط أخضر يطلع من السر فجأة ويتفجر برقوقا وكل الأزهار وكل الألوان**))[1].

ومن مقالاته التي تبدأ بالتساؤل وتنتهي به مقالة (الحصار) إذ جاء الاستهلال هكذا ((**ماذا يعرف القارئ العبري عن حركة الأدب العربي هنا؟.**))[2] وبعد الاستهلال يأتي عرض المقالة التي تنتقد السياسة الإسرائيلية في فرض الحصار الثقافي والأدبي. وبعد طرح الأفكار والمعالجات تنتهي المقالة كذلك بالتساؤل الآتي:

((**ماذا يعرف القارئ العبري عن حركة الأدب العربي هنا؟.**))[3]. وذلك لتؤكد الحصار المفروض على الأدباء والكتاب العرب بشكل عام، والأدب العربي في فلسطين خاصة.

---

(1) المصدر نفسه: 113.
(2) شيء عن الوطن: 43.
(3)شيء عن الوطن: 43.

المبحث الثاني
أساليب المقالة

أسلوب الترسل

يعد أسلوب الترسل من أهم الأساليب التي تعتمد عليها المقالة في تناول الموضوع وأداء الفكرة من اقرب طريق وأجمله، بعيداً عن السجع والزخارف اللفظية الأخرى، وهو ما يمكن أن نقيس التعبير عنه عند القدماء حينما كانوا يصفون الأسلوب الجميل بالسهل الممتنع [1]. فالسهولة تعني الوضوح واختيار أقرب الطرائق للتبليغ والأداء والإمتاع كما أن الأداء الفني لا يستطيعه إلا فنان مقتدر ذو موهبة وممارسة فنية وقدرة على أداء يمتنع عند غير الفنان، فالكاتب يطلق موهبته على سجيتها من دون تكلف وتعقيد معتمداً على الطبع والتمرس بالكلام البليغ[2]. وقد أجمع الباحثون على أن مناط الإبداع هو الطبع السليم والذوق الرفيع الذي يستخدمه الكاتب في بث أفكاره إلى المتلقي[3].

استخدم محمود درويش أسلوب الترسل في كتابة أغلب مقالاته الأدبية ويعود ذلك لسببين هما:

1- ثقافته الأدبية في تراث الكتابة الفنية والشعر العربي، إذ يقول درويش في مقالة (القمر لم يسقط في البئر): ((**علمني جدي القراءة ومساحة الأرض وأعمار الزيتون وكان يشتري لي كتباً من عكا، ويأخذني إلى أصدقائه ليفاخر بالطفل الذي يقرأ الجريدة والكتب، ويحفظ الشعر القديم ولا يخطئ إلا في قراءة سورة يس. يقرأ لهم من سيرة عنترة والزير وروايات جرجي زيدان التاريخية**))[4].

2- الصحافة الأدبية وأثرها في تطور أسلوب المقالة ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى إذ أصبح طابعها يتسم بالوضوح والعرض البسيط والتعبير الدقيق والتحرر من العبارات التقليدية ويتمثل هذا في أسلوب طه حسين،

---

(1) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون: 2/ 35.
(2) الأسلوب، احمد الشايب: 82.
(3) علم البديع نشأته وتطوره، جليل رشيد فالح، رسالة ماجستير: 32.
(4) يوميات الحزن العادي: 43.

وهيكل، والعقاد، وتوفيق ذياب، وفهمي المدرس، والتابعي، وإبراهيم صالح شكر[1].

وفيما يخص محمود درويش فانه ينشر أغلب مقالاته في الصحف وهذا ما يجعل أسلوبه يتسم بالوضوح والبساطة، لأنّ طبيعة العمل الصحفي في مخاطبة عامة الناس ذوي الثقافة المتواضعة تفرض عليه أسلوب الترسل.

يصور محمود درويش مقالة (القمر لم يسقط في البئر) التي تعد أنموذجاً سهلاً ميسراً مليئاً بالأحداث التي عاشها الكاتب بأسلوب سهل بسيط مألوف لدى القارئ إذ يقول:

((حين أدرك جدي أن وجودنا في لبنان ليس سفراً ولا نزهة، وأن الحرب انتهت بسقوط كل شيء، أدرك أن الكروم التي غرسها يأكلها اليهود، وهي تتحول في يده إلى بطاقة الإغاثة، بدأ يشعر أن الخروج خطأ. صار يعي الغربة والنفي، فلجأ إلى استرداد الآمال المعلقة على الجيوش بضرورة استرداد انتمائه الواقعي إلى أرضه بحضور عملي. هذه الصدمة التي خلقتها خيبة الاعتماد على سلاح يحمله آخرون، وأنت أعزل إلا من الحق. خلقت (وعي التسلسل) إلى الأرض المحتلة مهما كان الثمن والنتيجة، من أجل تحقيق الحضور والتخلص من الإهانة. تسلسلنا في الليل الوعر تحت خطر الموت. لم نذهب سوية خوفاً من تفكك العائلة في حالة تعرض قافلة المتسللين إلى خطر. التقينا بعد ليلتين من الزحف المضني في قرية هناك. ها نحن مرة أخرى في فلسطين. هذه هي العودة. لم نعرف أننا سنستبدل اللجوء في لبنان باللجوء في الوطن، ولم نعرف أن حضورنا الجسدي في الوطن هو غياب القانون الذي وضعه الغزاة بسرعة باللغة. سمونا (الحاضرين الغائبين) كي لا يكون لنا حق في شيء، ولكننا عرفنا أن آلافاً من العائدين كانوا يوضعون ــ فور إلقاء القبض عليهم ــ في شاحنات عسكرية ويقذف بهم إلى الحدود كما تقذف البضائع الفاسدة. وكنا نعرف أن مئات منهم قتلت بالرصاص كي تكف عن محاولة التفكير بالعودة))[2].

وهكذا نلاحظ أن أسلوب درويش في عرض المقالة أسلوب ترسل بسيط فهو يعرض حالة اللجوء أيام العدوان على فلسطين مستخدماً ألفاظاً منتقاة لمعاني أفكاره. أما من حيث الموضوع فقد جاءت مقالته هادفة إذ انصبت على بيان حقيقة الشعب الفلسطيني بعد الاحتلال عام (1948) فقد عانى من اللجوء إلى البلدان العربية، والغربة

---

(1) ينظر: الصحافة وأثرها في تطوير اللغة، د. منير بكر عبد، مجلة الجامعة، العدد (2) لسنة 1979: 35.

(2) يوميات الحزن العادي: 38- 39.

عن الوطن حتى وهو في داخله لأن العدو ينظر إلى الفلسطيني نظرة الغريب عن الوطن وهو صاحبه الحقيقي.

وبناءً على ذلك أطلق اليهود قانون (الحاضرين الغائبين) ومن خلال ما تقدم نرى أن أسلوب درويش في كتابة المقالة أسلوب سهل متدفق من دون تكلف وبعيداً عن الأساليب الملتوية كما انه لا يعتمد التعقيد والأسجاع إلا ما جاء عفواً ويرجع ذلك إلى سببين:

1. إن مقالات درويش تخاطب الشعب الفلسطيني خاصة، والشعب العربي عامة، ونحن نعلم أن المجتمع الواحد يختلف من حيث الثقافة وبناءً على ذلك جاءت المقالات بلغة وأسلوب سهل بسيط يفهمه العامة والخاصة من الناس.
2. طبيعة الموضوع إذ إن أغلب مقالات محمود درويش تدور حول الوطن، والوضع في فلسطين من احتلال واضطهاد وعنف وقسوة، فالمواضيع التي تخص الوطن والحياة الاجتماعية في فلسطين تتطلب أن يكون الأسلوب خالياً من الزخارف اللفظية والأسجاع كما أن الكاتب ينشر مقالته في الصحف والمجلات لذلك يعمد إلى أسلوب الصحافة وهو الأسلوب السهل المرسل من دون تكلف وتعقيد كما أن سهولتها وعدم استغراقها للوقت الطويل سواءً من حيث كتابتها أم قراءتها مما جعل منها مادة مناسبة للحياة العصرية المتطورة بأحداثها السريعة[1].

ومن مقالاته التي يظهر فيها أسلوب الترسل في إطار لغة سهلة مألوفة وتراكيب بسيطة لا تعقيد فيه ولا التواء مقالة (أزرق.. أزرق):

((رأيت مياه كثيرة في حياتي، ولكنني لم أره ماء في مثل هذه الزرقة الداكنة، وشاهدت رمالا كثيرة فسيحة ولكنني لو أشاهد رملا ممتلئا بالوضوح والغموض معاً مثل هذه الرمال الشرسة. وعشت أماسي كثيرة تحاذي المجهول، ولكنني ما عشت مثل هذا المساء الذي يتناوب علاقة عجيبة مع المجهول. ورأيت جنوداً كثيرين في حياتي، ولكنني ما رأيت، قبل الآن: كيف تقف عيون التاريخ على أصابع هؤلاء الجنود. وعرفت الصبر والقهر والغيظ، ولكنني أقرأ الآن لأول مرة، صدر البركان المتأهب للانفجار. وتعرفت على أنواع كثيرة من الصمت، ولكنني لم أر صمتا تكثر حكمة وقسوة من هذا الصمت الرابض كالأعجوبة على قناة السويس))[2].

نلاحظ كيف استرسل درويش في الوصف معبراً عن دهشته لزرقة الماء

---

(1) ينظر: الأدب القطري الحديث: 150.

(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 43- 44.

الداكنة كما يعجب من تلك الرمال الشرسة وذلك الماء الجميل الذي يتناوب بعلاقة عجيبة مع المجهول. وقد ظهرت عبارة الكاتب في استرسال العبارات في إطار لغوي سهل مع بعض السجعات والتناغمات الصوتية لاتحاد الألفاظ والمعاني: (الداكنة، فسيحة، الشرسة) و (رمالاً، رملاً، الرمال).

ولا يقتصر أسلوب الترسل عند محمود درويش في المقالات الذاتية؛ بل استرسل في مقالاته السياسية ولاسيما التي نشرت في الصحف والمجلات ففي مقالة (الصفر) التي تعلق على الواقع العربي فضلاً عن الصراع العربي إذ استرسل في تلك الأحداث ولاسيما زيارة (أنور السادات) للكيان الصهيوني فيقول:

((**يسدل الستار، الملك هو الملك، والطبقة هي الطبقة، وساعة الصفر تدق الماضي، والماضي هو أمس والآن. وإلى أين ينهض البديل. وفي الفراغ يحدث كل شيء: انقلاب في اللغة شارك فيه الجميع، لقد سرقوا لغتنا، فصار التحرير تسوية، وصار الصراع اختلافاً في وجهات النظر، وصار الاحتلال وجوداً، وصارت الصهيونية قومية، وصارت خطوط وقف النار حدوداً ومزيد من الانقلابات في المفاهيم، والسير في لغة التسوية إلى أن تمت الزيارة. وصارت العودة إلى اللغة الأصلية هي الشذوذ، هي الخروج على العروبة الرائجة، هي الردة فلنعترف بأن الكثيرين منا لم ينتهبوا إلى انقلاب المفاهيم والى انقلاب اللغة. فذهبوا في الانسجام. ويسدل الستار على مرحلة، والماضي هو امس، والآن. وفي الفراغ يحدث كل شيء صارت الزيارة هي القضية، ولكن القضية ليست الزيارة، ومع ذلك ـ فهي العنوان هي النتيجة، هي المحصلة. وهي: الزيارة العربية الأولى بعد الزيارات الإسرائيلية الدموية الأربع، إن حزيران يثمر، ويفرخ والصهيونية تستقر في وعي الحاكم، والزيارة دائمة وتشرين يعبر من دون عبرة، ويكثر المتفرجون على الأرصفة، ولا شيء يدهش، فالبداية هي البداية ولا تفضي إلى هذه النهاية**))[1].

وهكذا تأتي مشاعر درويش وأحاسيسه تجاه القضية الفلسطينية والقضايا العربية فهو يعرض الواقع العربي والخيانة العربية وصورها وكأنها مسرحية حين يسدل الستار، وتبدأ أحدث المسرحية. وهكذا هو الواقع العربي مسرحية إذ يعلن الحاكم في مصر عن موقفه تجاه القضية العربية الفلسطينية، ويندد بالاحتلال من جهة، ومن جهة أخرى كانت له يد المؤامرة في وقف إطلاق النار في حرب تشرين بناءً على طلب الرئيس الأمريكي وبأسلوب الترسل السهل البسيط يعرض درويش تلك الخيانة وزيارة إسرائيل زيارة رسمية وبذلك تنتهي مسرحية الخيانة العربية.

---

(1) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (73) لسنة 1977: 4.

ومن هنا يمكن القول أن أسلوب درويش يتميز ببساطة التعبير عن الواقع الحي المعاش لتصوير الواقع الملموس، فهو أسلوب لا مجاز فيه ولا تعقيد، وإنما ترك نفسه على سجيتها من غير تقييد ببساطة المعاني والخواطر والأفكار من دون تمويه أو تشويه.

الأسلوب القصصي

يعد الأسلوب القصصي من أهم الأساليب التي تعتمد عليها المقالة في عرض الفكرة والموضوع [1] وهذا الأسلوب عرفته العرب منذ شعر ما قبل الإسلام وازدهر في العهد العباسي عند كتاب المقامة والرسائل.

يرتكز الأسلوب القصصي على عناصر السرد والوصف والحوار، إذ يعتمد بعض المقاليين إلى تصوير الأحداث تصويراً يعتمد على السرد الذاتي فيقوم الكاتب برواية الأحداث على لسانه بوصفه بطلها ومحورها[2] ولأهمية هذا الأسلوب في عرض الأحداث والوقائع ومعالجتها وقدرته على التأثير وإمتاع السامعين جعل بعض للدارسين يرون أن " اقرب أنواع النثر الإنشائي إلى المقالة هي القصة القصيرة والخطابة، تلتقي الأولى وإياها في حجم ومحدودية التجربة وتختلف في أنها ـــ أي المقالة ـــ أكثر حرية في الشكل وأكثر عفوية وأوسع مدى في الموضوعات وأشد ملازمة للذاتية"[3].

هناك من يطلق على المقالة التي تعتمد أسلوب القص بـــ (المقالة القصصية) أو (المقاصة) أو (الصورة القصصية) [4]، إذ يبدأ الكاتب كتابته على صورة مقالة، ولكنه لا يلبث أن ينقلب إلى قصة أو قصص عدة تنضج بالعبث والفكاهة وتفيض بالتجارب الشخصية والأحداث الواقعية، وخير من يحتل هذا الأسلوب إبراهيم عبد القادر المازني ويحيى حقي[5]. وهناك من يعلل شيوع الأدب القصصي في المقالة إلا أن جل

---

(1) ينظر: الأدب وفنونه: 238.

(2) ينظر: فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 277. وينظر: دراسات في أدب البحرين: 187.

(3) مقدمة في النقد الأدبي: 262.

(4)ينظر: رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث: 9. وينظر: فجر القصة المصرية، يحيى حقي: 175. القصة القصيرة الجزائرية، مصطفى عبد الشافي مصطفى، مجلة الفيصل، العدد (140) لسنة: 1988: 90.

(5) ينظر: المقالة في الأدب العربي: 18.

القصاصين حين ذاك كانوا من كتاب المقالة[1] لأن المقالات التي تستخدم عناصر القصة الفنية أقرب إلى القصة القصيرة من المقالة[2].

ونظراً لاعتماد هذا اللون المقالي على عناصر السرد والحوار والوصف فقد نجح محمود درويش في اعتمادها في مقالاته ومن الملاحظ انه كان يعتمد عليها مجتمعة، وفي بعضها الآخر يعتمد على عنصر فني واحد. ولا شك أن ذلك يعود إلى مزاج الكاتب الفني والنفسي وطبيعة الموضوع، وأخيراً الهدف الذي يرمي إليه من قريب أو بعيد[3] فضلاً عن ثقافة درويش القصصية إذ يقول في مقالة (حياتي وقضيتي وشعري): ((**كنت مولعاً بشكل خاص بالأساطير اليونانية وبقصص القرآن الكريم والتوراة، وقرأت بشغف حكايات ألف ليلة وليلة**))[4].

ومن المقالات التي تعتمد على السرد الذاتي مقالة (حياتي وقضيتي وشعري) إذ يقوم الكاتب برواية الأحداث والوقائع على لسانه بوصفه بطلها ومحورها فيعرض لسيرته الذاتية واصفا للحياة الخاصة لشخصه (السارد = المؤلف) وقد جاء هذا الوصف عن طريق الاسترجاع الذي يعد قوام السيرة الذاتية، فيقول درويش:

((**أضع أمامكم طفولتي، لا لأني من أولئك المولعين الحنين إلى " البراءة المفقودة " ولا لأني انتمي إلى الذين يعاملون مرحلة الطفولة على أنها العنصر الحاسم الذي يحدّد اتجاه الشاعر، ولكن الطفولة، في مثل حالتنا، اكتسبت ميزة خاصة وستساعدنا، ولو قليلاً على فهم هذه الصلة التلقائية المبكرة بين الخاص والعام، إن طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل، لقد وضعت هذه الطفولة في النار، في الخيمة، في المنفى، مرة واحدة وبلا مبرر تتمكن من استيعابه، ووجدت نفسها تعامل معاملة الرجال ذوي القدرة على التحمل ولا تُستثنى من مصيرهم.**

فالرصاص الذي انطلق في تلك الليلة من صيف (1948) في سماء في (البروة) لم يميز بين أحد ورأيت نفسي، وكان عمري يومها ست سنوات، أعدو في اتجاه أحراش الزيتون السوداء، فالجبال الوعرة.. مشياً على الأقدام حيناً وزحفاً على البطون حيناً، وبعد ليلة دامية مليئة بالذعر والعطش وجدنا أنفسنا في بلد اسمه: لبنان، وحين صحا ذلك الطفل الممزق الثياب من التعب والرهبة كان رأسه يزدحم

---

(1)ينظر: المقال الأدبي في النثر التونسي الحديث، عبد الرحمن عبيد، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العددان (22- 23) لسنة 1982: 66.

(2) ينظر: فنون النثر المهجري، عبد الكريم الأشتر: 28- 29.

(3)المقال الأدبية في أدب احمد أمين: 129.

(4) شيء عن الوطن: 277.

بالأسئلة التي هاجمته دفعة واحدة وبلا تسلسل ومنذ الليلة انقلبت الصفحة الخاصة لعالم الطفولة، واصبح ذلك الطفل محروماً من الأشياء واللغة التي تميزه بها عن الكبار، والغريب هو أن تلك الليلة أكسبته شعوراً غامضاً بأنه، منذ الآن لن يختلف عن الكبار، والتصقت بذهنه وعاطفته كلمات جديدة صار يعرف أنها مصيرية! الحدود! اللاجئون! الاحتلال! وكالة الغوث، الصليب الأحمر الجريدة، الراديو، العودة، وفلسطين))[1]. إن المقالة التي تعتمد على السرد يجب أن تكون بسيطة في الحديث مأنوسة وألا تكون مستعلية على القارئ بل صديقة له، وكأنهما صديقان يتحدثان حديثاً يخص كل واحد منهما[2].

وهكذا نلاحظ أن دافع الكاتب للجنوح إلى السيرة الذاتية في مقالاته هو رغبته في العودة إلى الجذور من خلال اشتداد البعد المكاني الذي قد يثير مخاوف انقطاع الرجعية التي يستند عليها الكيان الإنساني في تماسكه واستمرار وجوده. ومن المعروف انه قد كتب مقالاته بعيداً عن وطنه، وهو يرى من حوله الكثير من أبناء شعبه، وقد تقطعت بهم السبل، واستحال على الكثير منهم العودة إلى الوطن، فجاءت مقالاته تعبيراً عن غربته بخاصة وغربة الإنسان بعامة عن وطنه واستلابه وانسحاقه.

وبعد هذا السرد الذاتي الذي جاء على لسان درويش مبرزاً أحزانه ومعبراً عن مشاعره تجاه أيام الطفولة أولاً، وأيام العدوان ثانياً، يأتي الوصف مشاركاً إلى جانب السرد في البناء الفني للمقالة وفي مقالة (ما زلت طفلاً) يسرد الكاتب الأحداث التي جرت عندما أردا أن يزور أمه في العيد، فيقول:

((من شهور طويلة لم تزر أمك، وأباك وأخوتك في قرية لا تبعد عنك أكثر من ساعة، تجتهد في اختيار الكلمات التي تتضمنها رسالتك إلى البوليس هذه المرة تكتب: (أتمنى أن تأخذوا بعين الاعتبار المشاعر الإنسانية الخالصة التي آمل أن لا تروا فيها، هذه المرة، تصادماً مع حرصكم الشديد على صيانة متطلبات أمن الدولة ومقتضيات الدفاع عن سلامة الجمهور، وأرجو بموافقتكم المنشودة على إصدار تصريح لزيارة أهلي في العيد، أن تبرهنوا على أن أمن ليس نقيضاً للحد الأدنى من فهم مشاعر الناس). يغادر أصدقائك المدينة وتبقى وحدك، تشرب القهوة وحدك وتحزن وحدك، كل العائلات يلتئم شملها غداً، وليس من حقك أن تقتحم بيت أحد وتبقى وحدك))[3].

يكشف الكاتب في هذه المقالة السردية ذات المغزى الاجتماعي والإنساني عن

---

(1) شيء عن الوطن: 241- 243.
(2) ينظر: الصحافة والأدب: 3.
(3) يوميات الحزن العادي: 98.

السياسة الصهيونية في فرض منع السفر تجاه المواطنين العرب في إسرائيل وعلى هذا النحو يجمع أسلوب القصة بين الفائدة القصصية وبين القيم الجمالية للعبارة القصصية سواء في السرد أم الحوار[1].

للحوار في مقالات محمود درويش الدور المهم في عرض مضامينها ويمكن تعريف الحوار بأنه " نمط من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر. وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح وهو الطابع الذي ينسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار ويشتمل على نسب موزونة منظومة من الإيقاع والاتزان" [2] وبوساطة الحوار يستطيع الكاتب أن يرسم معالم شخصياته واتصالها ببعضها اتصالاً مباشراً وتطور الأحداث حتى تفضي إلى العقدة فضلاً عما يضفيه الحوار من عنصر السرد وتدفقه فالكاتب يستخدم أنواعاً من الحوار في عرض موضوعات مقالاته ومعالجتها، وهي على الشكل الآتي:

1- حوار يؤلفه على لسان الشخصيات لتتحرك وتعبر عن نفسها بالتحادث والحوار الدائر بينها ولا دخل للمؤلف في ذلك[3] وخير ما يمثل هذا النوع مقالة (من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً) إذ يصور الكاتب المحاكمة والأحداث التي جرت حولها عن طريق الحوار بين الجندي والمحامي والقاضي. ففي المحكمة استجوب المحامي جندياً إسرائيلياً من الذين اشتركوا في المذبحة فالمقالة تصور وحشية العدو الصهيوني فضلاً عن انعدام العدالة والحقوق في الكيان الصهيوني:

---

(1) ينظر: دراسات في نقد الرواية، طه وادي: 360.
(2) الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، د. طه عبد الفتاح مقلد: 28.
(3) في الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية: 126.

((- هل صحيح انك تعمل في البلاد، وانه طيلة حياتك ادخل إليك الشعور بأن العرب هم
أعداؤنا؟
- الجندي: نعم.
- المحامي: هل صحيح أنك تحمل هذا الشعور نفسه تجاه العرب في إسرائيل والعرب
خارجها؟.
- الجندي: نعم. ليس عندي أي فرق.
- المحامي: هل صحيح أنك شعرت بأنك إذا لم تنفذ الأمر بقتل كل عربي في كفر قاسم إذا رايته خارج بيته، فإنك تكون قد خفت الروح التي تربيت عليها في الجيش وفي حرس الحدود.
- الجندي: نعم.
- المحامي: لو كنت تسير أيام الحرب. وفي أحد شوارع يافا مثلاً، لقيت عربيا فهل تطلق الرصاص عليه؟.
- الجندي: لا أعرف.
- القاضي: لو جرى معك في كفر قاسم ما يلي: بعد الساعة الخامسة نادتك امرأة، وكنت متأكداً من أنها ليست خطرة ولا تهدد الأمن، فقط نادتك وأرادت أن تسألك سؤالاً أو تطلب منك السماح لها بالعبور إلى بيتها. ولنفرض أن هذا كان في الساعة الخامسة وعشرين دقيقة مثلاً، فلو كانت هذه المرأة تبعد (10) أمتار عن بيتها وهي تطلب منك السماح لها بدخوله، ماذا تفعل؟.
- الجندي: لا اسمح لها.
- القاضي: ماذا كنت تفعل؟.
- الجندي: إذا كانت في الشارع.. أطلق عليها الرصاص.
- القاضي: ولكن لم يكن أي خطر. كل ما في الأمر أن شخصا ما، بسبب خطأ ما أو بسبب انه يعلم بأمر منع التجول توجه إليك وأراد بأذن منك، قطع الشارع السؤال: هو أنك رغم ذلك، كنت ستقتل كل واحد أم انك كنت تميز وتمتنع عن القتل في حالات معينة؟.
- الجندي: ما كنت أميز.
- القاضي: هل كنت ستقتل كل واحد؟.
- الجندي: نعم.
- القاضي: حتى لو كان ذلك الشخص امرأة أو طفلاً.
- الجندي: نعم.
- القاضي: كنت تقتل كل من تراه.

- الجندي: نعم.

وهذا ما حدث فعلاً..))[1].

يلاحظ أن محمود درويش قد أقحم نفسه في نهاية المقالة إذ يعرض آراءه الشخصية حول حادثة كفر قاسم ويعدها ملحمة أسطورية سوف يتغنى فيها الشعب العربي وتعبر هذه الحادثة عن الصمود والقوة للعدو الصهيوني فيقول:

((لم تكن كفر قاسم قرية ذات شأن في تاريخ فلسطين، ولكن ذلك الغروب الواقف على حافة الدم جعل كفر قاسم المجهولة ملحمة شعب صابر. وحين وقفنا على مدخلها، ذات مساء أحسسنا بضراوة المكبوت فينا. وعرفنا الجريمة التي تنال عليها كل هذا العقاب، وأدركنا أن الحجارة هي الوقت، فجلسنا عليها نغني للوطن))[2].

2-حوار داخلي يؤلفه الكاتب مع نفسه كما في مقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام)

إذ يعتري وصفه نوعاً من الحوار الداخلي (المونولوج) مع النفس المضطربة، وكأنه يجد في هذا المونولوج منفذاً للإجابة عن الأسئلة التي تدور في فكره وقد جعله على الشكل الآتي:

((سرحان.. يا سرحان! لماذا أضعت السلام؟ كان السلام أيضا في قبضة يدك، وكانت الحبيبة في أوج الصمت. لماذا ضاع منك السلام.. لأني أضعت الحرب. السلام لا يولد إلا من نهاية الحرب، ولا يسكن الحالة الواقفة بين حربين، رجل أضاع سلاماً، ماذا يفعل؟ ماذا يفعل؟ والحرب هاجرت أو وضعت في زنزانة يحرسها الخصمان، يحرسها الخصمان.. ماذا يفعل؟.. لا يستسلم. يدخل السجان قائلاً: ستأخذ شيئا يا سرحان.. ظل الشجر: الطالعة على سطح الزنزانة ستكون لك.

- فوقي ولا أراها. مني ولا أبلغها؟ القلب بعيد عن العينين ولا يلتقي بهما، هل يرفض القلب العينين؟ لا أرفض.. ولكني لا أضع قلبي في صدر سجاني، وأعيش بالوساطة شجرة الزنزانة لي. أنا أبدعتها، وهي ليست هدية، والسلام شيء آخر... وفجأة جاء الوطن متعباً، تصبب الضباب من اسمه الذي يغطونه في الخارج كما يغطون العورة، وأطلت الحرب خلفه بادية التعب كأنها تسير إلى جنازتها وحولها ضباط يقلدون الأبطال، قال سرحان: وداعاً أيتها الحرب!))[3].

وهكذا يستمر الحوار مع النفس إذ يفيد الكاتب من هذا التحاور في أمور عديدة

---

(1) يوميات الحزن العادي: 108 - 110.

(2) المصدر نفسه: 126- 127.

(3) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 96- 97.

منها: أنه ساعده على سرعة التنقل من صورة إلى أخرى فضلاً عن انه جاء متنفساً للمشاعر والانفعالات المكبوتة.

جاء الحوار الداخلي (المونولوج) في مقالة (الزنزانة) عندما حاور درويش نفسه ووضع لها شخصية السجان، وأراد أن يخرج من المكان المغلق (السجن) إلى الفضاء الخارجي المفتوح وحول الأشياء المادية (الجدار، السقف، القيد) إلى أشياء متخيلة هي (حصان، سرج، قلم) ودار الحوار بينه وبين السجان:

((عاد إلي في الصباح.. وصاح:

- من أين هذا الماء؟.

- من النيل.

- من أين هذا الشجر؟.

- من بساتين دمشق.

- من أين هذه الموسيقى؟.

- من قلبي.

غضب السجان ووضع حدا للمناقشة قال إنه لا يحب الشعر ثم أغلق باب الزنزانة، وعاد في المساء:

- من أين هذا القمر؟.

- من ليالي بغداد.

- من أين هذه الكأس؟.

- من كروم الجزائر.

- من أين هذه الحرية؟

- من القيد الذي وضعته أمس.

صار السجان حزيناً. ورجاني أن أمنحه حريته))[1].

3- حوار منقول من حكاية أو قصة أو من الكتاب المقدس أو من القرآن الكريم، ومن أمثلة الحوار المقتبس من القرآن الكريم ما جاء في مقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام) إذ تصور شخصية سرحان – رمز بشارة إلى الشاب الذي أطلق النار على الرئيس الأمريكي كندي- وقد وظف الكاتب هذه الشخصية في قصة أهل الكهف إذ يصحو سرحان ويأتي المدينة ويرى أن كل شيء قد تغير بسبب العدو الصهيوني وأصبح الوطن والحرب من الكلمات المهجورة في الواقع:

((كأنه ينزل الآن من أمه، والدهشة عيب في الخارج، قالوا: هذا واحد من أهل الكهف المنسيين، وضحكوا منه، لأنه يستعمل كلمات مهجورة. ويسأل أسئلة أسرتها الحرب، اسم الوطن، على سبيل المثال، عورة لا يكشفها المهذبون في الشارع العام، وكثير من الجنود ماذا يفعلون الآن؟ يحرسون الأخلاق مثلاً.

كأنه غضب وقال: قادم من الكهف؟ نعم. ولكنكم ذاهبون إلى الكهف. مد يده والتقط حفنة وحل، وصاح: اعتبروها سؤالي: ألعيب في الخروج من العبودية، أم في الذهاب الاختياري إلى العبودية؟.. وحين دقق الخبراء والشعراء الفاشلون في ذرات السؤال قالوا: سرحان يهذي. وكانت سوق البضائع مزدحمة بالمتفرجين، وكانت الأسعار مخفضة للأبطال ذوي الحناجر المصقولة، وكان الشهداء عرايا على الرمل. وكانوا كعادتهم، صامتين))[2].

---

(1)وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 75- 76.

(2) المصدر نفسه: 89- 90.

أسلوب التفكه والسخرية

يعد أسلوب التفكه والسخرية من الأساليب القديمة التي استخدمها الكتاب العرب في كتاباتهم وعلى رأسهم الجاحظ الذي اعتمد على الأسلوب التصويري الساخر كما في رسالة التربيع والتدوير وفي مطلع القرن العشرين نجد عبد العزيز البشري وإبراهيم عبد القادر المازني من الأدباء الذين يرون أن أسلوب السخرية يزيد المقالة حياة ويفتح لها صدراً من القارئ[1].

يعد العامل النفسي من أهم الأسباب التي ساعدت على بروز أسلوب التفكه والسخرية الذي يمثل الرغبة في الاستعلاء على الحوادث، ومن ثم يؤدي إلى التنفيس والترويح عن النفس من آلامها في ضحكات ذات معان [2] وبذلك يكون هذا الأسلوب وسيلة الأديب إلى الشفاء الروحي، فضلاً عن انه يمنح النص الأدبي نبرة من الجموح والحركية.

يمتاز أسلوب التفكه والسخرية لدى محمود درويش بأنه سخرية خاصة موجهة إلى الحاكم العسكري في فلسطين، ولكن ليس فيه كلام مبتذل بل جاءت السخرية والتفكه لتحقيق هدف نقد الأوضاع في الأرض المحتلة.

يكشف درويش في مقالة (الطبل والزمر والحكم العسكري) عن حبه لهواية جمع طرائف الحكم العسكري في بلاده فيقول:

((وكنت في البداية أحسب أن جمع كل طرفة سيكلفني كثيراً من الجهد. ولكن خفة دم الحكم العسكري وموهبته الهزلية وقدرته على إثارة البسمة المرة، أراحتني من بذل الجهد، فتكدست أمامي عشرات من الحكايات الطريفة في بنائها الفني، والتي ستصبح جزءاً هاما من فلكلور الاضطهاد))[3].

لقد تعرض محمود درويش وغيره من المواطنين الفلسطينيين إلى جور الحكم العسكري إذ فرض الحاكم العسكري منعه من السفر والإقامة الجبرية كما تم اعتقاله ثلاث مرات (1961، 1965، 1967)[4] فضلاً عن الاعتقال والسجن من دون سبب: إذ يقول في مقالة (هكذا أعيش وأناضل في إسرائيل): **((لقد تحول الحاكم العسكري إلى رمز الشر الذي يؤذي العلاقات بين الشعبين))**[5].

---

(1) ينظر: رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف، د. علي جواد الطاهر، مجلة الفيصل، العدد (141) لسنة 1988: 41.

(2)ينظر: فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث: 203.

(3) شيء عن الوطن: 144- 145.

(4) ينظر: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال: 97.

(5) شيء عن الوطن: 221.

لقد صور محمود درويش تصرفات الحاكم العسكري بأسلوب التفكه ليحقق أمرين:

1- رغبته في جمع الطرائف.

2- ليكشف للقارئ غباء الحكم.

يورد محمود درويش حكاية في مقالة (الطبل والزمر والحكم العسكري):

((كان يا ما كان، في إحدى قرى الجليل، خلع الفلاح الشيخ قمبازه وعلقه على غصن زيتونة في الحقل.. وترك حماره يرعى العشب اليابس، ثم امسك المحراث وراح يحرث أرضه ويدمغ كل شبر منها بالعرق والتنهيد. وبعد ساعات التفت الفلاح إلى مربط الحمار فلم يجد حماره هناك. فخفَّ للبحث عنه. وعندها مرَّ به فلاح آخر وقال له: رأيت حمارك وراء التل. التل يبعد عشرات الأمتار فقط عن الحقل، وعندها أسرع الفلاح الشيخ للحاق بحماره قبل أن يختفي. وفي تلك اللحظة واجهته الشرطة العسكرية وسألته عن التصريح الذي يخوله حق البحث عن الحمار في أرض يحتاج إليها تصريحاً من الحكم العسكري، قال الفلاح الشيخ: التصريح موجود في جيب القمباز المعلق على الزيتونة قال رجال الشرطة العسكرية: هل في يدك الآن تصريح أم لا.. لا دخل لنا بالقمباز والزيتونة. فقال لهم الفلاح الشيخ: معي تصريح لكنه في القمباز المعلق على الزيتونة، وأنا الآن مسرع للحاق بالحمار قبل أن يضيع؟ فقالوا له: هذا لا يعنينا. انك تطأ هذه الأرض.. ارض الدولة! بدون تصريح.. وساقوه إلى المحكمة العسكرية.

وفي المحكمة العسكرية وقف الفلاح الشيخ ليقول انه غير مذنب.. وروى حكاية الحمار والتصريح الموجود في القمباز المعلق على الزيتونة. ولكن الحاكم العسكري لم يفهم فأدانه.. وحكم عليه بدفه الغرامة.

لماذا؟ لأن الحمار ـــ حتى الآن ـــ لا يفهم قوانين الحكم العسكري والأمن.. ولأن الحمار، عن نية طيبة، راح يبحث عن العشب في ارض الدولة. ولأن الحمار.. حمار ولو في إسرائيل رُبّي! فعلاً، الحق، على الحمار، ولكن المحاكم العسكرية لم تفتح حتى الآن، قسماً لمحاكمة الحمير.. وهذا خطأ!))[1].

ونلاحظ براعة درويش في تصوير أحداث القصة بأسلوب التفكه الذي كشف غباء الحاكم العسكري، وفي الجانب الآخر بساطة الفلاح الشيخ، وهكذا استطاع أن يصل إلى نفوذ سامعيه ويقدمها لقرائه بأسلوب التفكه الساخر من الحاكم العسكري.

وعلى منوال أسلوب التفكه جاءت مقالة (بطاقة إلى وزير الدفاع):

((يصعب عليَّ الأمر ألا أتصور الخجل الذي يعتريك، وأنت تذيع اسطوانات

---

(1)شيء عن الوطن: 145- 147.

فخرك بالحرية والأزهار والخلاص الذي جئت به إلينا. إن طريقة صنعك للمواطنة الصالحة تذكرني بطريقة صنع الهريسة المصنوعة من الدقيق واللحم والسمن والبصل والملح كما تعلمتها وأنا طفل في الصفوف الأولى. كان هذا الدرس نكتة، وقال لنا المعلم انه نكتة، فهل حديثك يا معالي الوزير عن الفخر بالجنة التي تمننا بها نكتة!.. والحديث يجر أذيال الحديث))[1]. ولا شك أن المقالة خلقت صوراً ذهنية مضحكة فضلاً عن الهدف الذي أراده الكاتب وهو فضح السياسة الصهيونية المبنية على الدعاية والكذب والإعلام.

ومن أبرز المقالات التي اتسمت بروح السخرية مقالة (دولة البطيخة) إذ كشفت عن الاضطهاد والعنف والإقامة الجبرية والاعتقال الذي يعانيه أبناء الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال الصهيوني، فقد صور درويش تلك المعاناة بأسلوب يسخر من الحكومة الصهيونية فيقول:

((وفي الساعة التاسعة صباحاً تذهب إلى مكتبك لتعمل، تستمع بنصف فنجان القهوة قبل قراءة الأخبار. يأتيك الزائر المعتاد ويقول: تعال معي! تسأله: اعتقال.. أم تحقيق؟ يقول: لا أعرف تسأله أن تأخذ فرشاة أسنانك وأدوات الحلاقة وملابس داخلية، فيرد عليك: لا وقت! تجلس أمام الضابط.

يقول لك بأدب، من تحت صورة هرتزل: يشرفني أن أعتقلك.

تجامله: ويشرفني أن أمنحك هذا الشرف. ولكن، هل تتفضل وتقول لي: ما هي تهمتي؟.

يقول لك: أنت متهم بتفجير بطيخة عند مدخل السيرك، وبالمس بأمن الدولة.

البطيخة، والدولة، والسيرك ـــ انسجام نادر... ثم يدخلونك إلى غرفة أخرى، تجد ضابطا وامرأة عجوز. يسألك أحد الضباط إن كنت تتقن اللغة العبرية، ثم يتلو لائحة الاتهام: أنت متهم بالعمل على تدمير دولة إسرائيل. تسأل: تقصد الدولة أم البطيخة؟ تقول لك المرأة القبيحة: احترم المحكمة. تعلن دهشتك: أية محكمة؟ فيأتيك صوت قادم من مستنقع: هذه محكمة، وأنا قاضية. عندها تفهم إنهم احترموك ونقلوا المحكمة إلى السجن من أجلك. ولكنك ترفض تكريمهم: كلا يا سيدتي: لا هذا المكان محكمة ولا أنتِ قاضية. هذا سجن وأنتِ سجانة))[2]. وهكذا يسخر محمود درويش من السياسة الصهيونية، لأنهم يعتقلون المواطن الفلسطيني لأتفه الأسباب، ولأنه متهم بتفجير بطيخة..

وفي مقالة (حيفا بلا بحر) يسخر درويش من السياسة الصهيونية فهو يريد

---

(1) شيء عن الوطن: 140.

(2) يوميات الحزن العادي: 88- 89.

السفر إلى اليونان والسفر يحتاج إلى جواز، والفلسطيني لا جواز له فهو: (لا مواطن.. ولا مقيم. إذن: أين أنا ومن أنا) وبعد جدال كبير يحصل على جواز السفر، ومن هنا تبدأ مأساته إذ يقول:

((وتسعى من جديد. أمرك لله وللقانون، تحصل على شهادة تثبت أنك موجود، وتحصل على جواز مرور، ولكن من أين تمر؟ أنت مقيم في حيفا، والمطار قرب تل أبيب، وتسأل الشرطة تصريحاً للسفر من حيفا إلى المطار فترفض، يتدخل المحامي وأعضاء برلمان، ولكن الشرطة ترفض، ثم تظن انك أكثر... منهم ودهاء، فتغير طريق مرورك، وتقرر السفر عن طريق ميناء حيفا على اعتبار انك تملك حق الوصول إلى الميناء، تبتهج لذكائك، تشتري تذكرة، وتعبر قسم مراقبة الجوازات والصحة، والجمارك ولا يعترضك أحد وقرب السفينة يلقون القبض عليك، ويقدمونك إلى المحكمة وما زلت مصراً على أن القانون معك هذه المرة. وتكتشف في المحكمة أن ميناء حيفا جزء من دولة إسرائيل وليس جزءاً من مدينة حيفا ويذكرك بأنك ممنوع من الوجود في أية نقطة من دولة إسرائيل خارج حيفا والميناء ـ في القانون ـ خارج حيفا، وتدان..

تقول لهم: أريد أن أدلي باعتراض خطير ما دمت قد فهمت القانون يا سادة! أنا استحم في البحر في كل يوم، والبحر تابع لدولة إسرائيل وليس تابع لمدينة حيفا، وأنا لا احمل تصريحاً لدخول البحر. وعندي اعتراف آخر: أنا استمتع بالطقس في مدينة حيفا. والطقس تابع لدولة إسرائيل وليس تابعاً لحيفا، وأنا لا احمل تصريحاً لدخول الطقس، والسماء التي أراها فوق حيفا ليسن تابعة لحيفا. وأنا لا احمل تصريحاً للجلوس تحت السماء. ثم تطلب منهم تصريحاً للإقامة في الريح، فيتبسمون!))[1].

ولم يقف درويش في سخريته من الحكم والحاكم العسكري والقوانين الإسرائيلية، بل انتقد وسخر من شخصيات إسرائيلية ففي مقالة (شيء عن: أمنون لين) يسخر من مدير الدائرة العربية في (المباي) الذي يحاول البروز في الأوساط الإعلامية ويحاول أن ينهال على العرب شتماً ووعيداً، فيقول درويش بأسلوب ساخر:

((كلما حنَّ إلى الشهرة، والحنين داء قاتل. استدعى صحفيا، أو وقف على منبر، وانهال على المواطنين العرب شتماً ووعيداً لأسباب عديدة: احدها أن يقال آمنون لين قال: له ما شاء، فلننشر، عطفاً عليه ما قال... فإن النتيجة تكون دفع

---

(1) يوميات الحزن العادي: 95.

آمنون لين إلى البطالة، لأنه سيفقد جميع المؤهلات والظروف التي تتيح له فرصة أن يكون: (ولي أمر العرب وسيدهم)... وهو من أصحاب النظرية القائلة إن العصا تخلق الحب. ولكن العجائز في قرانا قد قدمت الجواب، على هذه النظرية قبل أن تحمل أم آمنون لين به، فقلنَّ:" كل شيء عند العطار، إلا حبي غصب "))[1]. وهكذا نرى أن درويش يسخر من الشخصية اليهودية (أمنون لين) وبذلك يسخر من الحكومة من أعلى مرتبة إلى أدناها ونلاحظ السخرية الخفية والتهكم من غباء (أمنون لين) الذي يصرح ويأمر وينهى على هواه، ويحاول أن يكون ولي أمر العرب وسيدهم! ولكن درويش رد عليه رداً جميلاً عندما قال أن العصا تخلق الحب، كناية عن القوة والقسوة تجاه العرب إذ إن رده بمثل عربي قديم عند العجائز قبل أن يخلق لين على وجه الأرض: (كل شيء عند العطار، إلا حبي غصب) وبهذا المثل يرد محمود درويش على أمنون لين وعلى الساسة كلهم من اليهود الصهاينة الذين يرون أن القسوة والقوة والعنف الأساس في إخضاع العرب للحكام الصهاينة.

وفي نهاية المطاف نرى أن سخرية درويش مؤدبة هادئة خفية خالية من كل الألفاظ العامية والسب والشتم والتجريح، وجاءت هادفة ناقدة للأوضاع في إسرائيل.

---

(1) شيء عن الوطن: 131- 134.

المبحث الثالث
لغة المقالة

سمات عامة

تعد اللغة اللبنة الأساسية في تركيب المعاني والصور التي يتناولها الكاتب في موضوعه ومن خلالها يعرض نظراته وآرائه ويكشف عما يجول في نفسه من مشاعر وأحاسيس. فقد اهتم الكتاب والأدباء القدامى باللغة واخذوا ينقحون رسائلهم الرسمية وغير الرسمية بالزخارف اللفظية وأساليب البلاغة العربية بحيث أصبح لكل كاتب لغة خاصة تميزه عن الكاتب الآخر والى جانب ذلك كان للشعر لغته الخاصة فأصبح لكل شاعر لغته المتميزة.

أخذت لغة المقالة في الأدب العربي الحديث تتطور بعد أن كانت تستخدم لغة المعاجم والألفاظ القديمة (الوحشية والغريبة) التي تحتاج جهداً كبيراً لدى المتلقي لفهمها؛ وبناءً على ذلك ظهرت اتجاهات جديدة في عصر النهضة فمنهم المحافظ، ومنهم من دعا إلى التحرر من القواعد والأصول، ومنهم يتوسط بين الاتجاهين (اتجاه المحافظ المجدد).

كانت الصحافة ركناً من أركان النهضة الحديثة، فقد حررت اللغة من آفاقها القديمة التي ورثتها عن عصور الانحطاط، إذ إنها الحقل الذي أزدهر فيه الفن الكتابي الذي أطلق عليه اسم (المقالة)[1] وبما أن الصحافة تحتاج إلى السهولة والبساطة والابتعاد عن كل غريب ووحشي وعدم التقيد بالسجع المتكلف فان اللغة أصبحت أكثر حياةً ونمواً وتجدداً[2]، فجاءت المقالة الصحفية مركزة وموجزة، لأن أكثر القراء يفضلون المقالة المركزة التي تستوعب الموضوع[3].

تتسم لغة محمود درويش بأنها لغة صحفية بسيطة وواضحة، فهو لا تخفى عليه صنعة اللغة فهو شاعر ومقالي في الوقت ذاته، فضلاً عن انه كاتب صحفي ترأس في حياته أكثر من مجلة سياسية أو أدبية ابتداءً من مجلة الجديد مروراً بمجلة شؤون فلسطينية وانتهاءً بمجلة الكرمل. وفي مقابلة صحفية يقول درويش: ((**أحب كتابة الأدب الصحفي والريبورتاج وتسجيل انطباعات عن الكتب والأحداث والأمكنة**))[4] فالأدب الصحفي ينبع من ذات الأديب ويحتاج إلى كتابة متينة وبسيطة وإلى جمهور

---

(1) ينظر: اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، محمود تيمور: 32.
(2) ينظر: الصحافة وأثرها في تطوير اللغة: 32.
(3) ينظر: الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، جودت الركابي: 327.
(4) شيء عن الوطن: 285.

يقرأ[1].

وعلى المعيار السابق جاءت مقالات محمود درويش الصحفية ففي مقالة (الملف المفتوح) يقول:

((ليس جديداً أن يقال إن حرب الجنوب قد أعادت مفهوم الشرعية المعرض للانتهاك إلى خط الصواب. إن الذين يقاتلون دفاعاً عن ارض الوطن هم الذين يمتلكون الشرعية. أما المتفرجون على إيقاع الاحتلال، والمصفقون لانهيارات القرى فلهم أسماء أخرى، لقد كان المقاتلان الفلسطيني واللبناني في دفاعهما عن الأرض اللبنانية وجذوة الثورة العربية يعيدان صياغة الوعي القومي، ويدمران التجزئة))[2].

يظهر أن لغة درويش السهلة وبسيطة وواضحة تؤدي الفكرة والموضوع بصورة مباشرة إذ إن أدب المقالة اليوم هو عماد الألوان الأدبية والفكرية وقد تطور مع الزمن فتميز بالبساطة والإيجاز ففي مقالة (مرفوضون.. مرفوضون) يبدو ذلك جلياً:

((إن الرفض هو جوهر المقاومة، ولكن الرفض ليس مطلقاً وكاسحاً إلى حد رفض الذات، ورفض الممكن الذي ننجزه بكفاحنا، إننا نرفض المشيئة الأمريكية الإسرائيلية ونرفض التنازل عن حقوقنا التاريخية والسياسية في فلسطين، ونرفض التنازل عن الثورة. ولكن الكفاح من أجل تحقيق أهداف مرحلية، على طريق التحرير لا يجب أن يسمى قبولاً بمشيئة الأعداء، إنه شكل من أشكال رفضها. وإن مدى ما يمكن إحرازه يتلاءم مع مدى نضج قدرتنا على هذا الإنجاز... لقد حدد الإسرائيليون سياستهم الراهنة بوضوح لا تحتاج قراءته إلى ذكاء، رئيس حكومتهم يقول: (إن حكومة الأردن هي الطرف الوحيد الذي يمكن لإسرائيل أن تناقش معه المشكلة الفلسطينية)، ووزير خارجيتهم كرر القول: أن إسرائيل ترفض إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية؛ لأن إقامة دولة فلسطينية منفصلة عن الأردن لن تكون إلا قنبلة زمنية إلى اندلاع الحرب))[3].

ومن المقالة في أعلاه نرى اللغة السهلة البسيطة إذ إن ألفاظها واضحة ومفهومة يفهمها عامة الناس مهما اختلفوا في ثقافاتهم، كما يلاحظ على لغة درويش أنها صادقة في تعبيرها وتجسيدها لنفسية الكاتب وواقعه المعاش ففي مقالة (الأطلال المحنطة) يقول:

---

(1) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث، عزيز السيد جاسم: 140.
(2) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (78) لسنة 1978: 4.
(3) مجلة شؤون فلسطينية، العدد (37) لسنة 1974: 21.

((إن الذين بنوا هذا البلد صار اسمهم.. لاجئين! ولكن بيوتهم لن تتحول إلى أطلال، لأن الذين لجأوا إليها أرادوها أن تكون متاحف.. تحمل شهادات التراكتور على الثور!. إن هذه البيوت التي استبدلت أرواحها وروائحها وصلواتها ليس أكثر من أطلال حية. أو جثث غير مدفونة))[1].

فإذا أمعنا النظر في المقالة فإننا سنلاحظ أنها عبرت عن نفسية الكاتب وواقعه المعاش، فهو لاجئ ذاق مرارة اللجوء منذ بداية العدوان (في لبنان) عندما كان عمره ثمان سنوات، كما عانى من اللجوء بعدما طردته ومنعته السلطات الصهيونية من دخول البلاد فاستقر في موسكو ثم انتقل إلى القاهرة، فهو لاجئ وغريب عن الوطن، فيصور واقعه النفسي من الواقع المعاش في فلسطين إذ إن اللجوء لأصحاب الأرض الشرعيين، والأمن والاستقرار لأصحاب الاحتلال. فهذه هي سمة من أبرز سمات اللغة عند درويش ألا وهي الانعكاس النفسي على الواقع المعاش.

الألفاظ والتعابير

يتسم أسلوب محمود درويش في مقالاته بالسهولة والبساطة في الصياغة والعرض من خلال استخدام الألفاظ الواضحة الدالة على المعاني مباشرة، واستخدامه لبعض الفنون البلاغية لعرض الفكرة وتصويرها، وخلق نوع من الإيقاع اللفظي والإثارة، وبما أن محمود درويش شاعر فقد تأتي ألفاظه موسيقية تشعرنا ونحن نقرأ مقالاته بأنها على نمط الشعر الحر، فهو يحسن اختيار الألفاظ في تراكيب الجمل لتؤدي المعنى والصور التي توحي بالغرض، ومن ثم تحقق المطلوبة والأساسية في العملية الإبداعية (المبدع والنص والمتلقي) فالمبدع سواء أكان كاتباً أم شاعراً فان ينقل بتجربته بوساطة الألفاظ وتراكيب الجمل، ولا يمكن لهذه التجربة أن تعيش وتحيا وتستمر من دون أن يكون لها مستقبل ومتلق[2].

يقول محمود درويش في مقالته (شيء عن الوطن):

((هذا الوطن الصغير كقبضة اليد، الواسع مثل الأبد هذا الرائع.. هذا الجارح والمجروح.. هذا الوطن، هل يتحول إلى سجن لأبنائه؟.. لقد تمرس كثيراً، بكل الأشكال والألوان، مات كثيراً، وعاش كثيراً، أسماؤه تتغير، وأشجاره تموت وتحيا. ونحن نعانقه عناق الموت، حتى الموت. ومن هذه الحقيقة الساطعة كالشمس والخنجر، من هذا الانتماء المبدع، نأخذ أسباب الخضرة: لنا وطن... نحن لم نبحث

---

(1) شيء عن الوطن: 101- 102.

(2) إشكالية التلقي عند حازم القرطاجني في كتاب منهاج البلغاء، محمود درابسة، مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، المجلد (12)، العدد (2) لسنة 1997: 476.

عنه.. عن هذا الوطن في حلم أسطوري وخيال بعيد، ولا في صفحة جميلة من كتاب قديم. نحن لم نصنع هذا الوطن كما تصنع المؤسسات والمنشآت، هو الذي صنعنا، هو أبونا وأمنا..))[1].

يلاحظ أن الألفاظ والتعابير في المقالة السابقة جاءت ملائمة للموضوع فكلمة الوطن رقيقة، وكثيراً ما كان (الوطن = الحبيبة) لذلك اختار الألفاظ الرقيقة الأنيقة: (الواسع، الرائع، الجارح، المجروح، مات، عاش، العناق، الشمس، الوطن..) وفي ذلك جسد حب الوطن، وعلى ذلك نلحظ انسجام الموضوع (الوطن) مع الألفاظ فضلاً عن استخدام بعض الفنون البلاغية مثل الطباق الذي تمثل في: (الصغير، الواسع) و(مات، عاش). فإذا كان الوطن يعني فلسطين دائماً فإن الأرض عند درويش هي الوطن أيضا فهي تستمد معناها وحركتها من ذات الكاتب وأنها تشير إلى الوطن المفقود[2].

يستخدم درويش ألفاظاً وعبارات تدل على شخصيته وذاته من مثل (جدي، أبي، أمي، عمي، صديقي، وطني) إذ إن مجموعته المقالية الثانية (يوميات الحزن العادي) تحمل سيرته الذاتية، فهو قد افتقد حنان جده في اللجوء بعد أن هده التشريد والاغتراب والتفكير في حقوله وأرضه ولم يعد صافي خالي البال كما كان في فلسطين.

ويذكر محمود درويش فضل جده في ثقافته وتعلمه[3]، أما علاقته بأبيه فهي تختلف عن جده الذي رافقه الأب فقد كان الأب يعمل منذ الصباح الباكر حتى المغيب ومدى مرارة الحياة التي يحياها وهو يتحمل مسؤولية ثمانية أشخاص[4].

إن درويش يمزج الكثير من الأبعاد المستمدة من اليومي بظلال الحدث الخام تتجلى بعض أبعاد سيرته لتعبر عن كائن نعرفه ولا نكاد نلمسه في الواقع فيتألف في هذا المزيج البعد الذاتي بأبعاده تشكيلية قد تسهم في ترميزه[5].

فإذا كانت الألفاظ وتعابير درويش في مقالاته الذاتية تحمل الرومانسية والهدوء فإنها في مقالاته السياسية ألفاظاً وتعابيراً نابية تهاجم السياسة الإسرائيلية والحكم العسكري، مقابل التأكيد على الحق الفلسطيني في العيش بسلام على أرضه: (العدو،

---

(1) شيء عن الوطن: 7- 9.
(2) العلامة في شعر محمود درويش، نسيم مصطفى عبد الله، رسالة ماجستير: 28.
(3) يوميات الحزن العادي: 42.
(4) المصدر نفسه: 43.
(5) السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان محمود درويش لماذا تركت الحصان وحيداً، خليل الشيخ، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد (16)، العدد(2) لسنة: 1998: 142.

الاحتلال، العنف، القسوة، الاضطهاد، منع السفر، الإقامة الجبرية، الحق المغتصب، العجز الأمريكي، البطش، امتصاص دم العرب...).

وهذا ما يرد في مقالاته السياسية كثيراً إذ ينطلق بدءاً من العنوان باتجاه المضمون: (الملف المفتوح)[1]، و(إعلان حرب)[2] ، و(نحن تقاتل وهم يقامرون)[3]، و(هزيمة العدو في ذروة انتصاره)[4]، و(وداعاً أيتها الحرب وداعاً أيها السلام)[5]، و(الطبل والزمر والحكم العسكري)[6]، و(هكذا أعيش وأناضل في إسرائيل)[7]، و(تلك الحرب. هذه الحرب)[8].

---

(1) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (78) لسنة 1978: 4- 5.
(2) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العددان (74- 75) لسنة 1978: 2.
(3) ينظر: وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 53- 56.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 65- 71.
(5)ينظر: المصدر نفسه: 89- 97.
(6)ينظر: شيء عن الوطن: 144- 150.
(7)ينظر: المصدر نفسه: 211- 238.
(8) ينظر: مجلة شؤون فلسطينية، العدد (38) لسنة 1974: 4-6.

مصادر اللغة

من خلال استقراء مقالات محمود درويش نرى في أسلوبه تضمين بعض من قصص القرآن الكريم، وأقوال الصحابة فضلاً عن الأمثال والحكم التراثية العربية القديمة، والإشارات الأسطورية والرمزية وبعض الآثار الشعرية والأناشيد القديمة التي تعلمها في المدرسة.

في مقالة (وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام) نجد توظيفاً قصصياً للقرآن الكريم من قصة أصحاب الكهف[1] إذ يقول درويش:

((كأنه ينزل الآن من أمه، والدهشة عيب في الخارج. قالوا: هذا واحد من أهل الكهف المسنين، ضحكوا منه، لأنه لا يستعمل كلمات مهجورة، ويسأل أسئلة أسرتها الحرب، اسم الوطن... كأنه غضب وقال: قادم من الكهف؟ نعم، ولكنكم ذاهبون إلى الكهف، مد يده والتقط حفنة وحل، وصاح: اعتبروها سؤالي: العيبُ في الخروج من العبودية، أم في الذهاب الاختياري إلى العبودية؟... قالوا: سرحان يهذي))[2].

نلاحظ براعة الكاتب في تصوير قصة أهل الكهف، على الواقع الفلسطيني العربي، إذ يصحو من (الواقع القديم) إلى (الواقع الجديد) ويرى أن كل شيء تغير، وكذلك الحال في فلسطين إذ أصبح يهذي بالقديم فلا وطن ولا حرية ولا عيش ولا استقرار في فلسطين لقد تغير كل شيء..

ويوظف محمود درويش قصة موسى (υ)[3] عندما خرج من مصر هارباً في مقالته (الوطن بين الحقيبة والذاكرة) إذ يقول: **((تخرج مع موسى من مصر هاربا. تضرب البحر بعصا. ينشق البحر. يمر بنو إسرائيل، ثم يلتهم البحر أعدائهم، تبقى في صحراء سينا أربعين عاماً تتصالح مع الرب، وتعود..))**[4]

يورد درويش إشارة خفية إلى الملك سليمان (υ):

((كان دم عربي يسيل في شوارع بيروت، وكان يتحول إلى زيت ينعش الأرز القديم الذي أهدي إلى الملك سليمان لبناء الهيكل))[5].

ويوظف درويش من أقوال الصحابة ومن ذلك حكمة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (τ):

---

(1) ينظر: سورة الكهف.
(2) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 89- 90.
(3) ينظر: سورة القصص.
(4) يوميات الحزن العادي: 53.
(5) ينظر: يوميات الحزن العادي: 36.

((يجب الاستفادة من حكمة أبي ذر الغفاري التي عجب فيها ممن لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج إلى الناس شاهراً سيفه))[1].

وهذه الحكمة ضربت على سبيل التشبيه للفلسطيني الذي أصبح لا بيت له ولا قوت فعليه أن يخرج سيفه لقتال الأعداء الصهاينة.

ومن الحكم التي جاءت على سبيل السخرية ما جاء في مقالة (شيء عن.. أمنون لين):

((كل شيء عند العطار، إلا حبي غصب))[2].

ويوظف محمود درويش الأساطير من مثل حصان طروادة في مقالة (وطن آخر):

((هذا الاغتراب كان حصان طروادة..))[3]. كما يوظف نجمة داود(υ) كما في مقالة (هزيمة العدو):

((إن طائرة الفانتوم مثلاً ـــ حين تحمل نجمة داود ـــ تشكل ضماناً أبدياً لأمنهم المستحيل. لقد صار الارتكاز على أجنحة هذه الأسطورة العصرية من جهة، وعلى حائط المبكى الذي يمثل حيوية الأسطورة القديمة من جهة أخرى، صار بديلاً للاحتكام إلى وسائل أخرى أكثر منطقية للبحث عن مستقبل أقل تطاولاً على تاريخ المنطقة وأقل استفزازاً لشعوبها))[4].

ويسعى درويش لذكر شخصيات من التاريخ القديم والحديث بمثابة رموز تعبر عن الأفكار والرؤى كما في مقالة (الفرح عندما يخون) ومن ذلك ذكر شخصية أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الناصر ومرج بن عامر[5].: ((كانت فلسطين ملتقى الشرق وفيها غنى عبد الوهاب وأم كلثوم... وفي الداخل تأكل من قمح مرج بن عامر))

ويأتي ذكر المتنبي في مقالة (الوطن بين الذاكرة والحقيبة):

((ولم نأخذ من المتنبي إلا " وفيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ " هم الخصوم والحكام..

وهم الذين يحددون لنا " ما هو الوطن "))[6].

ويورد محمود درويش نشيداً تعلمه في المدرسة في مقالته (الوطن بين الذاكرة والحقيبة):

---

(1) شيء عن الوطن: 205.
(2) المصدر نفسه: 135.
(3) وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام: 40.
(4) المصدر نفسه: 66.
(5) يوميات الحزن العادي: 141.
(6) يوميات الحزن العادي: 52- 53.

((ـــ ماذا تعلمت في المدرسة؟
سلام على العصفور العائد من بلاد الشمس إلى نافذتي في المنفى. أخبرني أيها العصفور عن حال أهلي وأجدادي
ـــ والأغنية السابقة؟
ـــ ألغوها
ـــ ماذا كانت تقول الأغنية التي ألغوها؟
عليك مني السلام..
يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقام
وطاب إنشادي))[1].

وعلى ذلك فالعدو الإسرائيلي يحاول إلغاء أناشيد الطفولة التي تتغنى بأرض الأجداد لأنها تحمل السلام والأمان.

(1) يوميات الحزن العادي: 43.

الخـاتـمـة

بعد الانتهاء من دراسة المقالة عند محمود درويش موضوعياً وفنياً توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- تعد المقالة الذاتية لدى محمود درويش المجال الخصب من خلاله يستطيع أن يبوح بكل ما يريد أن يقوله.. من تراكمات وتجارب إنسانية وحياتية مرت به بالغة في تأثيرها وأهميتها في نفسيته التي تفجرت إزاءها انفعالاته الصادقة عبر امتداد أحاسيسه ومشاعره الذاتية، والمقالة الذاتية لدى درويش متنوعة التجارب ذات صور متميزة بألوانها وخطوطها بطابعها الخاص وقسماتها الفارقة فهي تعبر عن الاتجاهين الوجداني والإنساني.
- يشتمل الاتجاه الوجداني عند محمود درويش على ثلاث مسائل هي: الصور والمشاهدات الشخصية، الغربة والحنين للوطن، والوصف إذ إن حياته تبحث عن مستقر ـ مكان زماني ـ يوحد بين شتات الغربة والعودة، بين الحنين واحتضان الوطن الجريح بين الماضي ــ الطفولة الجميلة ـ والحاضر والمستقبل بين الحلم الجميل والواقع المرير، فلحظة الخروج من الوطن تهيمن على ذاكرة درويش، فيصور من خلال انفعالاته اتجاهها صور عديدة تجسد العواطف المتكسرة على أجنحة الألم وعلى ذلك فحياته مليئة بالأحداث والتطورات والمشاهدات وصور الحياة التي تقلبت رؤى وأحلام وآمال أديب ونتاج فكانت بين اتجاهات: حياة الفنان الخاصة وعملية الإبداع الفني اللاشخصية.
- يعد موضوع الغربة والحنين للوطن من الموضوعات التي اتسعت لها فنية المقالة الذاتية الوجدانية , إذ يعبر محمود درويش عن حبه وحنينه للوطن , الذي فارقه طويلاً , منذ الطفولة وهو يعاني في المهاجر العربية من الغربة، فالغربة لديه تعني الموت والانكسار، ونعني أن يخفت إيقاع الحياة، وتنطفئ لحظات الأمل، وعبارة (لنا وطن) لدرويش ناقوس يدق في آفاق الغربة والحنين لتكون بؤرة الألم التي تتمركز حولها كل أحاسيس الحياة المجهولة التي يعيشها.
- يتحول الوصف إلى أداة تطور المعاني وتكشف الموضوع وتبلور الحالات والمواقف لتشكيل النمط الفاعل فيسعى لتصوير البيئة المكانية التي عاشها تصويراً ينم عن إحساس عميق، وبصر نافذ وإدراك واعٍ مع دقة الملاحظة والتعاطف مع الطبيعة والموضوع الذي ينقل أحاسيسه، فالطبيعة ممزوجة بمشاعره فيسعى للكشف عن الرموز التي طالما تعلقت بها نفسه فيصف البحر والمساء وعيد الميلاد وتأملات السجين في

زنزانته.

- يشتمل الاتجاه الإنساني عند محمود درويش على مسألتين: القيم الإنسانية والرثاء إذ إن حياته وإنسانيته المتدفقة، ومشاعره العميقة أتاحت له أن يمتلك حساً إنسانياً يمارس فيه كل طقوس العواطف الإنسانية فتأتي مقالاته نبرات احتجاج على غياب الإنسانية عند العدو الإسرائيلي التي حلت محلها الوحشية والإرهاب من خلال المجازر الدموية العديدة التي حاولوا فيها إثارة الرعب والخوف في قلوب العرب ومن أولها مذبحة دير ياسين، إذ إن درويش يبحث في ذلك عن القيم الإنسانية..
- يعد الرثاء من ابرز مضامين المقالة الذاتية الذي كتب ذكرى المآسي التي مرت على فلسطين، وربما الذكرى لا تشفي غليل الأنين وهول المأساة ؛ وإنما يقف الكاتب إزاءها وقفة صمت من اجل الذين ماتوا في الطرقات وتحت الأنقاض واصبح الموت جزءاً من الحياة الإنسانية فأصبح الرثاء لديه شاعرية تتخذ المقالة نافذة له فاختار له أوجه عدة هي: رثاء النفس ورثاء الآخرين ورثاء المدن وبما أن عالمه مليء بالمآسي والموت ؛ لذا جاء الرثاء في مقالاته متناسباً مع ما يحدث في عالمه (الوطن) فيرثي نفسه وهو في السجون الصهيونية هل سيموت؟ أم سيبقى ينتظر حتى يتفتت لحمه بين أصابهم، فالموت لديه ليست حالة فناء بقدر ما هو حالة انبعاث التي لا ترد صحوتها إلا بالدماء والشهادة والجهاد، ويأتي رثاء غسان كنفاني في مقدمة الذين رثاهم فهو رثاء يفيض بالحسرة والألم لفقدان هذا الأديب المناضل، فهو رمز من رموز البطولة الفلسطينية، والملحمة الإنسانية الأزلية فالموت هنا يوحي بالحياة والهوية. ويتحول درويش بعد رثاء نفسه والآخرين إلى رثاء المدن التي باتت تحتضر، فموت مدينة غزة مثلاً هو إعلان عن جدارتها بالحياة، وعلى ذلك فالرثاء في مقالات درويش يحمل طابعاً خاصاً به، فهو لا يتوجه إلى صفات المرثي ويعكس مشاعر الحزن والألم إزاء الأموات ؛ وإنما يحمل الانفجار والمقاومة والتحدي والنفير والتوحد.
- يحاول درويش في مقالاته الموضوعية إثارة الاهتمام حول موضوع ما ضمن بؤرة اهتمامنا، فهو يستحضر موضوعات تمدنا بالرؤية والتطلع بما يمتلكه من عمق الثقافة واللغة، فيأخذ المقال الموضوعي لديه في اتجاهين: المقالة السياسية والمقالة النقدية.
- إن قضية الوطن المسلوب هي من ابرز الموضوعات السياسية التي انبرى لها محمود درويش ليجدها في مقالاته السياسية لإعلان حق الوطن في الحرية والاستقلال من خلال الصراع الحضاري والفكري الذي أخذ

مداه في تمزيق الوطن، وفي عدوانيته على كل ملامح الإنسانية من القتل والوحشية البالغة القسوة لأبنائه وشعبه ؛ لذا لجأ إلى كل ما يؤكد الحق الفلسطيني المشروع. فاستعان بكل ما يملك لمواجهة العدوان والكراهية ليعبر عن ولاء عميق لوطنه وقضيته لأن العدوان ضد فلسطين موجه من عدوين ظاهرين هما: الاحتلال الصهيوني والعدو الأمريكي لذلك برز نوعان من المقالات السياسية في أدب درويش هما: المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني، والمقالات الموجهة العدو الأمريكي.

- تأتي المقالات الموجهة ضد الاحتلال الصهيوني لتوضح جذور التحول السياسي في فلسطين المحتلة وتضم موضوعاتها تصاعد المأساة الفلسطينية منذ الاحتلال الصهيوني ومن ثم هجرة اليهود إلى فلسطين، ومن ثم هدم كل الملامح العربية وبدأ عالماً مهدداً بالزوال والموت يطوف بين الأبطال السجون تعج بهم، والخيام مزدحمة باللاجئين فتأتي تلك المقالات ملتهبة إذ إن مقاومة الأعداء المغتصبين تنعكس على تفكيره وتأخذ حيزاً كبيراً من تجربته الإبداعية.
- يكشف محمود درويش عن أسلوب أمريكا ومساندتها للكيان الصهيوني على حساب العرب وليحذر من هذه اللعبة الأمريكية السياسية التي تحاول من خلالها أن تحقق ما تصبو إليه من خلال زرع الكيان الصهيوني في الأرض العربية (فلسطين) لتضع يدها على النفط العربي وبناء القواعد العسكرية في البلاد العربية لتأمين مصالحها في المنطقة العربية ولاسيما الخليج العربي.
- تقوم المقالة النقدية عند محمود درويش على نقد فكرة معينة أو موضوع معين أو تناول اتجاه خاص في النقد الأدبي والثقافة العربية ليطرح من خلاله كل ما يهم الأديب والكاتب الفلسطيني فهي دعوة صريحة إلى رفض القيم الأدبية للعدو المحتل. وتنقسم تلك المقالات إلى قسمين: نقد للأدب العربي الفلسطيني، ونقد للأدب الصهيوني، وهو يدعو في القسم الأول الأدباء العرب بأن يأخذوا دورهم في ردع العدوان وتوجيه أقلامهم إلى القيم العربية التي هي رمز للعروبة والنضال والشجاعة والبطولة. أما القسم الثاني فيصور فيه الأدب الصهيوني ليكشف عن طبيعة هذا الأدب الذي لا يحيد عن نزعته العنصرية والإرهابية، ويكشف عن دوره في طعن الأدب العربي الفلسطيني، فيقوم بدوره في الحديث عن سمات الأدب العربي الفلسطيني ليثبت القيم الإنسانية التي يسعى إليها.
- تميزت مقالات محمود درويش الذاتية والموضوعية بسمات فنية يمكن أن

تكون في ثلاثة محاور هي: بناء المقالة وأساليبها ولغتها إذ إن هذا الفن يأتي من الذخيرة الشعرية لمحمود درويش الذي امتاز شعره بخصائص ميزته عن كل شعراء المقاومة لعمق تجربته الشعرية التي أثرت على تعميق تجربته الصحفية المقالية لاسيما انه ترأس أكثر من مجلة سياسية وأدبية فجاءت مقالاته متميزة بسمات فنية عالية.

- بنيت مقالات محمود درويش بناءً متماسكاً محكماً يبدأ من العنوان حتى نهاية المقالة فهو تشغله مسألة اختيار العنوان ومن الملاحظ أن عنواناتها تخضع لطبيعة الموضوع فهو يراعي ذلك في اختيار للعنوان ولاسيما عنوانات مجموعاته التي ضمت أغلب مقالاته: (شيء عن الوطن، يوميات الحزن العادي، وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام). إذ يقوم العنوان في المجاميع الثلاث بدور الرئيس لتشكل فيما بعد إحدى العناوين الثانوية فضلاً عن إنه يضع الموضوع في اعتباره عند اختيار العنوان بإخضاع الاختيار للموضوع وغايته.
- وجاءت أغلب مقدمات مقالات درويش مبتدئة بجملة فعلية حتى تلك المقدمات التي تبدأ باسم أو شبه جملة فإن الجملة الفعلية التي تليها هي التي تخبر عنها أو تفسرها لإضفاء الحيوية والحركة للمقدمة. ومن هذه المقدمات يحسن درويش الانتقال إلى غرضه إذ يأتيَ مترابطاً آخذ بعضه برقاب البعض الآخر من دون قطع في الكلام. أما الخاتمة فهي تتسم بالتنوع والاختلاف على وفق ما يقتضيه المقام وبذلك تأتي المقالة مرتبة محافظة على العناصر البنائية الفنية.
- توزعت أساليب المقالة عند محمود درويش على ثلاثة محاور هي: أسلوب الترسل، والأسلوب القصصي، وأسلوب التفكه والسخرية، ويأتي استخدامه للأسلوب الأول لسببين هما: ثقافته الأدبية في تراث الكتابة الفنية والشعر العربي، والصحافة الأدبية وأثرها في تطور أسلوب المقالة فجاءت مقالاته سهلة بسيطة واضحة متأثرة بلغة الصحافة.
- كما اعتمد درويش على الأسلوب القصصي مستخدماً السرد والحوار والوصف فقد يعتمد عليها مجتمعة أو يعتمد على عنصر فني واحد ويعود ذلك يعود إلى مزاج الكاتب الفني والنفسي وطبيعة الموضوع، وأخيراً الهدف الذي يرمي إليه من قريب.
- أما أسلوب التفكه والسخرية فيمتاز بأنه سخرية خاصة موجهة إلى الحاكم العسكري في فلسطين، ويأتي بأسلوب مؤدب خفي خالي من الألفاظ العامية والسب والشتم والتجريح، فجاءت سخريته هادفة ناقدة للأوضاع في إسرائيل.

- تتسم لغة محمود درويش بأنها لغة صحفية بسيطة وواضحة، فهو لا تخفى عليه صنعة اللغة فهو شاعر ومقالي في الوقت ذاته، فتأتي مقالاته معبرة عن نفسيته وواقعه المعاش، كما يستخدم الألفاظ والتعابير الواضحة الدالة على المعاني مباشرة واستخدامه لبعض الفنون البلاغية لعرض الفكرة وتصويرها وخلق نوع من الإيقاع اللفظي والإثارة وبما انه شاعر فقد تأتي ألفاظه موسيقية تشعرنا ونحن نقرأ مقالاته بأنها على نمط الشعر الحر.
- يضمن درويش في أسلوبه بعض العبارات من قصص القرآن الكريم وأقوال الصحابة والأمثال والحكم التراثية العربية القديمة، والإشارات الأسطورية والرمزية وبعض الآثار الشعرية والأناشيد.

المصادر والمراجع

المصادر

أولاً: المجموعات:

- شيء عن الوطن، دار العودة، ط1، بيروت، 1971م.
- يوميات الحزن العادي، دار العودة، ط 3، بيروت، 1981م.
- وداعاً أيتها الحرب. وداعاً أيها السلام، سلسلة كتب فلسطينية (55)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ط 1، بيروت، 1974م.

ثانياً: المقالات المنشورة في مجلة شؤون فلسطينية:

- **محمود درويش وجائزة اللوتس**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (1) لسنة 1971م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (11) لسنة 1972م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (12) لسنة 1972م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (13) لسنة 1972م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (14) لسنة 1972م.
- **هل تكون المرأة نصف حبلى**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (15) لسنة 1972م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (19) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (22) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (23) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (24) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (25) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (27) لسنة 1973م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (28) لسنة 1973م.
- **القمر لم يسقط في البئر**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (30) لسنة 1973م.
- **المحطة**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (29) لسنة 1974م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (31) لسنة 1974م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (32) لسنة 1974م.
- **الكتابة في درجة الغليان**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (35) لسنة 1974م.
- **نحترق من ناحية البحر وننمو من ناحية الأطفال**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (36) لسنة 1974م.
- **مرفوضون.. مرفوضون**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (37) لسنة 1974م.
- **تلك الحرب. هذه الحرب**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (38) لسنة 1974م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (39) لسنة 1974م.
- **طريق مسدود آخر**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (47) لسنة 1975م.

- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (48) لسنة 1975م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (49) لسنة 1975م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العددان (50- 51) لسنة 1975م.
- **انتفاضة**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (56) لسنة 1976م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (60) لسنة 1976م.
- **أنيس صايغ إلى اللقاء**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (66) لسنة 1977م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977م.
- **إلى أين**، مجلة شؤون فلسطينية، العددان (68- 69) لسنة 1977م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (72) لسنة 1977م.
- **الصفر**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (73) لسنة 1977م.
- **إعلان حرب**، مجلة شؤون فلسطينية، العددان (74- 75) لسنة 1978م.
- **في الجنوب**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (77) لسنة 1978م.
- **الملف المفتوح**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (78) لسنة 1978م.
- مجلة شؤون فلسطينية، العدد (79) لسنة 1978م.
- **أمريكا هناك أمريكا هنا**، مجلة شؤون فلسطينية، العددان (92- 93) لسنة 1979م.

المراجع

1- الكتب

- **اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة**، محمود تيمور، دار المعارف، القاهرة، 1970م.
- **الأدب العربي المعاصر في فلسطين**، 1860- 1960، د. كامل السوافيري، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
- **الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار**، جودت الركابي، دار الفكر، ط 1، بيروت، 1974م.
- **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال** 1948- 1968، غسان كنفاني، مؤسسة دراسات فلسطينية، ط 1، بيروت، 1968م.
- **الأدب القطري الحديث**، محمد عبد الرحيم قافود، المطبعة الفنية الحديثة، ط 1، القاهرة، 1979م.
- **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط 1، بيروت، 1976م.
- **الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي**، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م.
- **الأسلوب: دراسة بلاغية لأصول الأساليب العربية**، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ط 5، القاهرة، 1956م.

- **الأسلوبية ونظرية النص، دراسات وبحوث**، د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م.
- **إشكالية المكان في النص الأدبي: دراسات نقدية**، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد، 1986م.
- **الأصابع في موقد النار: مقدمات مقترحة لقراءة القصيدة**، حاتم الصكر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد، 1986م.
- **بلاغة الخطاب وعلم النص**، د. صلاح فضل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، ط 1، القاهرة، 1996م.
- **البيان والتبيين**، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255ه)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1948م.
- **الثقافة الأدبية**، د. علي جواد الطاهر، مطبعة وزارة التربية، بغداد، 1979م.

- **جنة العبيط أو أدب المقالة**، د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م.
- **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، د. محمد شحاذة عليان، دار الفكر، ط 1، عمان – الأردن، 1987م.
- **الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون**، د. طه عبد الفتاح مقلد، مكتبة الشباب، دار الزين للطباعة، المنيرة، 1975م.
- **الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية**، د. محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948م.
- **دراسات في أدب البحرين**، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1979م.
- **دراسات في علم النفس الأدبي**، د. حامد عبد القادر، مكتبة النهضة، القاهرة،1957م.
- **دراسات في نقد الرواية**، طه وادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.
- **دراسات نقدية في الأدب العربي الحديث**، عزيز السيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام،ط 1، بغداد، 1970م.
- **دفاعاً عن فن القول**، عبد الكريم غلاب، دار القلم، تونس، 1984م.
- **دير الملاك: دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر**، د. محسن أطمش، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 2، بغداد، 1986م.
- **الرائد في الأدب العربي**، إنعام الجندي، دار الرائد العربي، بيروت، 1979م.
- **الرثاء في الشعر العربي**، د. محمود حسن أبو ناجي، منشورات دار مكتبة

الحياة، ط 2، بيروت، 1998م.
- **رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث**، د. عبد الجبار داود البصري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975م.
- **شعر الرثاء واستنهاض العزائم**، د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم، مطبعة الكويت، ط 1، 1982م.
- **عن اللغة والأدب والنقد: رؤية تاريخية. رؤية فنية**، د. محمد احمد العزب، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، 1982م.
- **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، محمد فكري الجزار، سلسلة دراسات أدبية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- **الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث**، د. ماهر حسن فهمي، مؤسسة البحوث، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1976م.
- **فجر القصة المصرية**، يحيى حقي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
- **الفكر: طبيعته وتطوره**، د. نوري جعفر، منشورات مكتبة التحرير، ط 2، بغداد، 1977م.
- **فن الخطابة**، أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 2، بغداد، 1986م.
- **فن المقالة**، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، ط 4، بيروت، 1966م.
- **فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، د. ربيعي عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1988م.
- **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية**، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت، 1987م.
- **فنون النثر المهجري**، عبد الكريم الاشتر، دار الفكر الحديث، ط 2، بيروت، 1965م.
- **في الأدب الحديث**، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، الجزء الأول، ط 4، 1959م.
- **في الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية**، د. علي علي مصطفى صبيح، مطبعة متينمة الحديثة، ط 1، بيروت، 1981م.
- **في الأدب وفنونه**، د. علي بو ملحم، المطبعة المصرية، بيروت، 1970م.
- **في النقد الأدبي الحديث**، د. فائق مصطفى احمد وعبد الرضا علي، دار الكتب جامعة الموصل، 1989م.
- **في النقد الأدبي**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط 5، القاهرة، 1977م.
- **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (817 ه)، دار

الجيل، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1952م.
- **قضايا الشعرية**، رومان ياكبسون، ترجمة، محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1998م.
- **كتاب الصناعتين**، أبو هلال الحسن عبد الله العسكري (395ه)، تحقيق: محمد علي البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1971م.
- **لسان العرب**، الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (711 ه)، دار صادر، بيروت، 1956م.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير (637 ه)، تحقيق: احمد محمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، (د. ت).
- **محاضرات عن فن المقالة الأدبية**، د. محمد عوض محمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959م.
- **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة**، رجاء النقاش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3، بيروت، 1972م.
- **مدارات نقدية: إشكالية النقد والحداثة والإبداع**، فاضل ثامر، سلسلة دراسات أدبية، دار الشؤون الثقافية العامة، (د. ط)، بغداد، 1987م.
- **مدخل إلى علم الأسلوب**، شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، ط 1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982م.
- **المدخل إلى فن التحرير الصحفي**، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط 3، القاهرة، 1965م.
- **مسائل في الإبداع والتصور**، جمال عبد الملك، دار التأليف، ط 1، جامعة الخرطوم، 1972م.
- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، كامل المهندس ومجدي وهبة، مطبعة لبنان، ط 2، بيروت، 1984م.
- **المقال وتطوره في الأدب المعاصر**، د. السيد مرسي أبو ذكرى، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
- **مقدمة في النقد الأدبي**، د. علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، بيروت، 1983م.
- **النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث**، د. علي شلق، دار القلم، ط 2، بيروت، 1974م.
- **النفس الإنسانية**، محمد جلوب فرحان، دار الكتب، جامعة الموصل، 1986م.
- **النقد الأدبي**، احمد أمين، دار الكتاب العربي، ط 4، بيروت، 1967م.
- **وراء الأفق الأدبي**، د. علي جواد الطاهر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977م.

2- **البحوث المنشورة في الدوريات والكتب الجامعية**

- **أثر الفكر في الإبداع الفكري**، ه. كزفنر، ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروة، مجلة الأقلام، بغداد، العدد (1) لسنة 1987م.
- **إستراتيجية التسوية**، محمود سويد، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (67) لسنة 1977م.
- **إشكالية التلقي عند حازم القرطاجني في كتاب منهاج البلغاء**، محمود درابسة، مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، المجلد (12)، العدد (2) لسنة 1997م.
- **أضواء عن أدب المستقبل**، ندوة ألف باء، العدد (29) لسنة 1973م.
- **بين الاغتراب والأصالة**، د. أمير اسكندر، الملحق (51) لجريدة الثورة، العدد (3403) في 1979/8/16م.
- **تقنيات التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر**، سامح الرواشدة، مجلة مؤتة، المجلد (12)، العدد (2) لسنة 1997م.
- **تطور تجربة محمود درويش الشعرية**، د. محمد عبد المطلب، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر، ط 1، الأردن، 1998م.
- **حلول كثيرة للمسألة اليهودية ولا حل للمسألة الصهيونية**، حوار مع محمود عباس، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (68- 69) لسنة 1977م.
- **الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل**، رضا بن حميد، مجلة فصول، المجلد (15)، العدد (2) لسنة 1996م.
- **رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف**، د. علي جواد الطاهر، مجلة الفيصل، العدد (141) لسنة 1988م.
- **رموز فلسطينية بحاجة للبحث عن هوية**، صبحي حديدي، مجلة الكرمل، العددان (55- 56) لسنة 1998م.
- **زكي نجيب محمود مقالياً**، سعيد عدنان محمود، مجلة آداب الرافدين، العدد (16) لسنة 1986م.
- **الزمان والمكان في ديوان محمود درويش احد عشر كوكباً دراسة نقدية**، بسام قطوس، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (14)، العدد (1) لسنة 1996م.

❖ **السيرة في إطار الشعر: قراءة في ديوان محمود درويش لماذا تركت الحصان وحيداً**، خليل الشيخ، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد(16)، العدد(2) لسنة 1998م.
❖ **السيميوطيقا والعنونة**، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد (25)، العدد (3) لسنة 1997م.
❖ **شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق**، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد (28)، العدد (1) لسنة 1999م.
❖ **الشؤون العسكرية الإسرائيلية: تطور التسلح**، يزيد صايغ، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (182) لسنة 1988م.
❖ **الصحافة وأثرها في تطوير اللغة**، د. منير بكر عبد، مجلة الجامعة، العدد (2) لسنة 1979م.
❖ **عن الشعر ومكائد الطفل**، د. محمد لطفي اليوسفي ، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر، ط 1، الأردن، 1998م.
❖ **الفرق بين أسلوب الأديب وأسلوب الصحفي**، شفيق صبري، مجلة اللغات الحية، المجلد (1)، العدد (1) لسنة 1961م.
❖ **القصة القصيرة الجزائرية**، مصطفى عبد الشافي مصطفى، مجلة الفيصل، العدد (140) لسنة 1988م.
❖ **محمود درويش وجائزة اللوتس**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (1) لسنة 1971م.
❖ **محمود درويش يوضح بعض الملابسات التي تحيط بشعره** , لقاء أجراه سليمان الشيخ , مجلة البيان , الكويت، العدد (190) لسنة 1982م.
❖ **مصطلح النقالة الأدبية في النقد العربي الحديث**، د. فائق مصطفى احمد، مؤتمر النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، 1994م.
❖ **المفارقة في شعر محمود درويش**، خالد سليمان، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (13)، العدد (2) لسنة 1995م.
❖ **مفهوم الرواية السيرية**، د. عمر محمد الطالب، مجلة صوت، العدد (1) لسنة 1997م.
❖ **المقال الأدبي في النثر التونسي الحديث**، عبد الرحمن عبيد، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العددان (22- 23) لسنة 1982م.
❖ **المقالة في الأدب العربي**، د. حسين نصار، مجلة الفيصل، العدد (11) لسنة 1978م.
❖ **المقالة والرثاء**، د. علي جواد الطاهر، مجلة الرابطة، النجف، العدد (3) لسنة 1975م.
❖ **قصيدة الحرب**، محمد العزي، ضمن كتاب مكانة الشعر في الثقافة العربية

المعاصرة، المحور الثاني الشعر والتحدي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد، 1987م.

- **مفهوم الرمز الدينامكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث: محمود درويش نموذجاً**، محمد جمال بارود، ضمن كتاب زيتونة المنفى: دراسات في شعر محمود درويش، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر، ط 1، الأردن، 1998م.

3- **الرسائل الجامعية**

- **الصحافة والأدب** 1968- 1982، حسين جاسم محمد، رسالة ماجستير، بإشراف: الدكتور عناد غزوان، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983م.
- **علم البديع: نشأته تطوره**، جليل رشيد فالح، رسالة ماجستير، بإشراف: الدكتور احمد مطلوب، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م.
- **العلامة في شعر محمود درويش: ديوان حصار لمدائح البحر نموذجاً**، نسيم مصطفى عبد الله بني عودة، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتورة: بشرى حمدي البستاني، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000م.
- **عنوان القصيدة في شعر محمود درويش: دراسة سيميائية**، جاسم محمد جاسم، رسالة ماجستير بإشراف: الدكتور عبد الستار عبد الله صالح، كلية التربية، جامعة الموصل، 2001م.

- **فن المقالة الأدبية في العراق** 1968- 1982م، وفاء رفعت العزي، أطروحة دكتوراه، بإشراف: الدكتور إبراهيم جنداري جمعة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1997م.
- **المقالة الأدبية في أدب احمد أمين**، محمد صالح رشيد الحافظ، أطروحة دكتوراه، **بإشراف: الدكتور فائق مصطفى احمد، كلية الآداب، جامعة الموصل**، 1999م.
- **المقالة الأدبية في الأدب الجزائري** 1931- 1956م، **قدام سعيد، رسالة ماجستير، بإشراف: الدكتور عناد غزوان، كلية الآداب، جامعة بغداد**، 1985م.